

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداءات ٢٠٠٢

أد/ مصطفى الطاوى الجوينى

الاسكندرية

السيرة الذاتية المختارة للاسلامية

دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٧٥



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

مقدمة

في هذه الفترة من حياة أمتنا العربية ، يستشعر مسئوليتنا نحن الدارسين في أن نسلط الأضواء على علومنا وآدابنا لتتكشف حقائقها ، وتوضح معالمها .

وحضارتنا العربية تحتاج منا إلى مزيد من البحث والدراسة لنقف بأنفسنا على أصولها ومصادرها الأولى ، ونبين السبل التي سلكتها لكي تصل إلينا ، ونعرف على هؤلاء الذين حملوها حتى أخذناها عنهم ، ثم نقوم بعد ذلك دورنا في تنمية تلك الأصول ، ونوضح الجديد الذي أضفناه لها ، ونرصد العناية الفائقة بكل ما من شأنه أن يرقى بالعقل البشري .

يقول ماكس فانتاجو في مقدمته لكتابه « المعجزة العربية » ، فتقديري أن من يستقل مركبا لسفر الحياة دون أن يدرس ، بل دون أن تكون بين يديه مخططات كاملة لتاريخ حضارتنا هو من حادثة العهد بحيث يكون كالسافر الذي يرحل دون خوارط في سفرة طويلة (١) .

وهذا البحث هو شمعة على الطريق ، أضعها وكلى أمل أن تسكر الشموع إلى جوارها لتظهر في ضوئها حضارتنا في ماضيها ، فنعز بها عنتنا بما نلسه اليوم بأنفسنا .

يقول جرجي زيدان « إن تاريخ الأمة الحقيقي هو تاريخ تمدنها وحضارتها » (٢) وقد كانت هذه الدراسة استجابة لنداءات طالما ردها الباحثون من ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من حضارتنا .

(١) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ١٠

(٢) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ المقدمة

ويقول دى بور : إن قلبع دخول اليونان في مدينة الشرق الكثيرة العناصر هو من الناحية التاريخية جدير أن يشوق الباحثين ، ولا سيما إذا قناسينا الفلسفة اليونانية ، ولم ننقن في مقارنة الفلسفة الإسلامية بها ، ولهذا البحث شأن عظيم ، إذ أنه يتيح لنا فرصة مقارنة المدنية الإسلامية بغيرها من المدنات ، (١) .

ويقول ماكس مايرهوف : إن العصر الذي انتقلت فيه العلوم اليونانية إلى العرب عصر غامض ، وتمع معا ، (٢) .

ويقول الدكتور تمام حسان : إننا مع الأسف نلحظ في المكتبة العربية فقرا واضحا في الكتب التي تدور حول اكتساب العرب ثقافة الشعوب المجاورة من ناحية ، وحول أثر ثقافة هذه الشعوب في دراساتهم اللغوية والدينية ، (٣) .

ولقد كان السريان هم حلقة الاتصال بين العلم الإغريقي والإسلام ، لذلك ليس غريبا أن يكون لهم دور كبير في تغذية الحضارة الإسلامية بكل ما كان من شأنه أن يكفل لها النمو والازدهار . وهذا ما فصله البحث في صنفهاته . وقد قسمته إلى خمسة أبواب :

الباب الأول : أوليات الحضارة في الهلال الخصيب .
وقد قسمته إلى فصلين :

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٤

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٢٧

(٣) الدكتور تمام حسان : مقدمة كتاب مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب
تأليف أوليري

الفصل الأول : تكلمت فيه عن البيئات التي عاش فيها الآراميون ،
والحضارات التي قوّالت فيها وتأثرهم بها ، ثمّ العوامل التي أدت إلى
انهيار حضارتهم .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن السريان ، وعرضت للأسباب التي
من أجلها سموا باسمهم هذا ، ثمّ بينت مدى فهم مؤرخي العرب القدماء
لهذه التسمية .

الباب الثاني : المراكز الثقافية في الشرق القديم .

تحدثت فيه عن الإسكندرية ، وحران . وجنديسابور ، والرها ،
ونصيبين ، وبينت النشاط الثقافي الذي قام في كل منها ، والعوامل التي
أعانت عليه ، ثمّ درست اتصالاتها بالمسلمين ، والنتائج التي ترتبت على
هذا الاتصال ، وأوضحت الدور الذي قامت به في خدمة الحضارة
العربية ، ومدى تأثيرها فيها ، والأفكار التي انتقلت منها .

الباب الثالث : جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام .

وقد عرضت في هذا الباب لعدم اهتمام العرب بتاريخهم في
الجاهلية ، والأسباب التي أدت إلى ذلك ، وما ترتب على هذا المسلك
من نتائج ، ثمّ بينت أثر السريان في الجانب الحضاري من الحياة
العربية قبل الإسلام وبخاصة في دولة الأنباط ، وتدمر ، وإمارة
الغساسنة ، والحيرة .

وفي هذا النطاق عنيّت بانتقال الأفكار الهلينية إلى العرب ، والدور
الذي قام به اليعاقبة والنساطرة في هذا السبيل ، وذكرت ما أفاده
العرب من هؤلاء في هذه الفترة من تاريخهم ، فأشرت إلى العناصر

الحضارية التي دخلت البيئة العربية عندئذ ، وبينت دور المسيحية في تحويل أفكار العرب من الوثنية إلى أفكار أسمى ، كما أوضحت النزعات المسيحية التي بدت عند بعض شعراء العصر الجاهلي ، ورددت بعد ذلك على من ذهب إلى أن قواعد الإسلام تقوم على أصول مختلفة من الأديان التي انتشرت قبله ، وذكرت أن الديانات السماوية في مجموعها إنما تمثل المنهج الديني المتكامل الذي أخذ الله به عباده ليصل بهم إلى أعلى درجات الإيمان .

الباب الرابع : نشاط السريان في ظل الأمويين .

وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الإسلامية : وقد ذكرت فيه استعانة الأمويين بأهل الثقافات الأجنبية في بناء دولتهم لرغبتهم في أن يستكملوا لها كل مقوماتها ، ثم أشرت إلى أن النشاط الثقافي الذي قام به الفسطاط في كل من جنديسابور والحيرة كان له دوره في قيام مثيل له في كل من البصرة والكوفة بعد ذلك .

وهنا كان لزاما على أن أذكر العوامل القومية والدينية التي أدت إلى هذا النشاط اللغوي ، فقد كانت الهوية التي تفصل بين اللغة القرآن ولغة الكلام اليومية تزداد اتساعا ، كما أن رغبة الموالى في إجادة اللغة العربية ليصلوا بذلك إلى المراكز العالية في الدولة كان لها دورها في إقبالهم على دراستها ، كذلك كان النظر في القرآن والحديث يستوجب الإهتمام بالعلوم العربية لأنه متوقف عليها .

وقد بينت الآثار الأجنبية في هذه الدراسات اللغوية ، فقد وضعت القواعد العربية على نمط القواعد السريانية ؛ وكان قيام مدرسة جنديسابور في فارس له تأثيره على النهضة العرب . وقد عدت بعد ذلك لبيان بقية الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم ، فأشرت إلى تسامح الإسلام مع أهل الأديان الأخرى ، وذكرت انتقال الخلافة من الحجاز إلى سوريا وتأثير هذا الانتقال في مساهمة المسيحيين في بناء الدولة الإسلامية ، كذلك ذكرت أن الإسلام لم يوقف سير الحياة العقلية في البلاد التي فتحها ، ولقد تمثل ذلك بصورة متميزة في المجتمعين النسطوري واليعقوبي ، فضاعف هؤلاء من نشاطهم في خدمة الثقافة والمعرفة بما ساعد على نقل العلوم اليونانية واتصالها بالفكر العربي .

الفصل الثاني : حركة النقل وجهود السريان فيها .

وفي هذا الفصل ذكرت أن الرغبة في المحافظة على العقيدة أدت إلى عدم الاشتغال بالفلسفة في العصر الأموي ، وقد فصلت الحديث بعد ذلك عن شخصية خالد بن يزيد ودوره في النقل ، وتأثره بالسريان في دراساته ، وبينت أن اشتغال السريان بالترجمة منذ صدر الإسلام لم يكن من مصادقات العصر ، وإنما كان امتداداً طبيعياً لما قاموا به قبل ذلك في المراكز الثقافية التي سبق الكلام عنها ، وقد ختمت هذا الفصل بالحديث عن النقلة في العهد الأموي وذكرت مشاهيرهم .

الفصل الثالث : موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة .

وقد بينت فيه أن المسلمين كان ذهنهم متفتحاً لقبول الثقافات الأجنبية ،

الفصل الأول : تكلمت فيه عن البيئات التي عاش فيها الآراميون ،
والحضارات التي قوالت فيها وتأثرهم بها ، ثم العوامل التي أدت إلى
انهيار حضارتهم .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن السريان ، وعرضت للأسباب التي
من أجلها سموا باسمهم هذا ، ثم بينت مدى فهم مؤرخي العرب القدماء
لهذه التسمية .

الباب الثاني : المراكز الثقافية في الشرق القديم .

تحدثت فيه عن الإسكندرية ، وهران . وجنديسابور ، والرها ،
ونصيبين ، وبينت النشاط الثقافي الذي قام في كل منها ، والعوامل التي
أعانت عليه ، ثم درست اتصالها بالمسلمين ، والنتائج التي ترقبت على
هذا الاتصال ، وأوضحت الدور الذي قامت به في خدمة الحضارة
العربية ، ومدى تأثيرها فيها ، والأفكار التي انتقلت منها .

الباب الثالث : جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام .

وقد عرضت في هذا الباب لعدم اهتمام العرب بتاريخهم في
الجاهلية ، والأسباب التي أدت إلى ذلك ، وما ترقب على هذا المسلك
من نتائج ، ثم بينت أثر السريان في الجانب الحضاري من الحياة
العربية قبل الإسلام وبخاصة في دولة الأنباط ، وتدمر ، وإمارة
الغساسنة ، والحيرة .

وفي هذا النطاق عنيت بانتقال الأفكار الهلينية إلى العرب ، والدور
الذي قام به اليعاقبة والنساطرة في هذا السبيل ، وذكرت ما أفاده
العرب من هؤلاء في هذه الفترة من تاريخهم ، فأشرت إلى العناصر

الرجوع إلى الأصول اليونانية كان أسبق في الرياضة والفلك لما فيها من مصطلحات رياضية ، ثم عرضت للطرق التي كان يتبعها المترجمون وتحديث بعد ذلك عن عجز السريان عن فهم الثقافة اليونانية أحيانا وقصور بعضهم في الترجمة مما دعا إلى معاودة نقل ما ترجموه مرة أخرى . وقد حمل هذا على الشك في قيمة الكتب المترجمة فظهر من ينادى بما يجب أن يكون عليه المترجمون حتى يستطيعوا أن يقوموا بترجمة تؤدي حقائق الأصل ومرامييه .

وقد أنهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها .

باب الأول

أوليات الحضارة في أهلال الخصيب

الفصل الثاني

بيئة الآراميين وحضارتهم

عاش الآراميون في منطقة مترامية الأطراف من آسيا ، وقد كان برستد أول من أطلق على هذه المنطقة اسم الهلال الخصيب ، وعلل ذلك بأنها « تكون شكلًا نصف دائري على وجه التقريب يرتكز طرفه الغربي في جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط ، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب ، ويرتكز طرفه الآخر عند الخليج الفارسي ، وخلف ظهر هذا تقوم الجبال المرتفعة ، وبذلك تقع فلسطين عند نهاية الجزء الغربي ، وبلاد بابل في الجزء الشرقي ، بينما تكون بلاد آشور جزءًا كبيرًا من وسطه » (١) . وقد تداول الباحثون هذه التسمية مشين عليها فذكر سارقون « أنه اسم يليق كل اللياقة » . (٢)

وقد وجدت في المنطقة التي ذكرناها عدة حضارات قبل أن يسود فيها الآراميون ، بل قبل أن يستوطنها الجنس السامي . فقبل عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريبًا ازدهرت حضارة في سهل شنهار على يد السومريين وهم « قوم غير سامي الأصل » ، (٣) .

(١) برستد : انتصار الحضارة ص ١٥١ .

(٢) تاريخ العلم : الفصل الثالث ترجمة الدكتور طه الباقري ص ١٤٣ ،

(٣) برستد انتصار الحضارة ص ١٥٨ . وانظر الدكتور فيليب حقي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٠٠ ص ١٤٩ وانظر ديلايورت : بلاد ما بين النهرين ص ١٨ .

وقد قادهم نشاطهم التجارى إلى استعمال اللغة السومرية وهى لغة وليست سامية ولا آرية ، (١) كانت تكتب بآلة تشبه المسمار يضغط بها على الطين الذى يصنع على صورة ألواح فتترك أثرها فيه ، ثم يحفف الطين ويحرق حتى يظل متماسكا بما جعل هذه الكتابة تعرف بالكتابة المسمارية (٢) .

ولقد تركز النشاط الثقافى على عهد السومريين فى المدن ، وكان المعبد فى المدينة هو نواة حضارتها والمركز الرئيسى فيها ، (٣) . ولعل مما يدل على هذا تلك المدونات التى عثر عليها فى كثير من الحفريات بين أنقاض هذه المعابد . وتعتبر الحضارة السومرية أساسا لعدة حضارات آسيوية ، ولقد ظل العامل السوميرى هو العنصر الأساسى لثقافة ما بين النهرين ، (٤) .

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد أو حوالى منتصفه ، شرعت جماعات من شعوب الجزيرة العربية تندفع نحو الشمال فى فترات من التقطع بالغة

(١) سارتون : تاريخ العلم : الفصل الثالث ترجمة الدكتور طه الباقى ص ١٢٦ .

(٢) يراجع هـ.ج. ويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز قوفيق جاويد

ص ٦١ .

اقرن ذلك بقول ول ديورانت وناقشوا على الطين ما يريدون نقشه بسن آلة

معادة كالإسفنج ، قصة الحضارة ص ٣٤ .

(٣) بروستيد : انقصار الحضارة ص ١٦٤ .

(٤) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى

ص ٦٧ انظر ول ديورانت : قصة الحضارة ص ٣٢٠ .

الخطورة ، (١) ونزلت بمنطقة الهلال الخصيب ، وعاش فريق منها جنبا إلى جنب مع السومريين في منطقة ما بين النهرين ثم لم يلبثوا حوالى سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد (٢) أن تغلبوا بزعامة سرجون الأول على دويلات المدن ، وأن يؤسسوا دولة موحدة قوية شملت معظم أرض وادى الرافدين ، وأن يتخذوا أكد عاصمة لها .

ولم يكن هؤلاء الساميون قد تحضروا بعد فأخذوا عن السومريين بعض معارفهم ، وهكذا غلب السومريون قاهريهم ، (٣) . ولقد اقتبس الأكديون ، الكتابة المسمارية عن السومريين ليكتبوا بها لغتهم السامية ، وكانت هذه هي المرة الأولى التى كتبت فيها لغة سامية ، (٤) . ولم تكن الأصوات السامية لتطابق أصوات اللغة السومرية ولذلك استغنى عن بعض الأصوات فيها ، كما اقتبس كثير من الكلمات السومرية التى أضيفت إلى مثيلاتها فى المعنى فى اللغة السامية ، وقد أدى هذا إلى أن « شوهت لغة الساميين بعد أن امتزجت بعناصر كثيرة من لغة

(١) بروكلمان : العرب والامبراطورية العبرية ص ١٣ .

(٢) ه.ج. ويلز : موجز تاريخ العالم ص ٦٦ .

أقرن ذلك بالتاريخ الذى ذكره سارتون (٢٦٣٧ - ٢٤٨٢ ق.م) تاريخ العالم ص ٢٢٤ وأقرنه بالتاريخ الذى ذكره فيليب حتى (٢٢٥٠ ق.م) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٣) جورج سارتون : تاريخ العلم الفصل الثالث : ترجمة الدكتور طه الباقر

ص ١٤٨ .

(٤) بريستد : انتصار الحضارة ص ١٧٨ .

وانظر إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٣٢ ، ص ٣٤ .

المقهورين ، (١) . ومعظم اللوحات المسجارية التي كشفت حتى الآن مكتوبة باللغة الأكادية التي تسمى عادة البابلية (٢) . ثم ظهرت أمة جديدة عرفت باسم سومر وأكد ، وحقت ما عرف بالحضارة البابلية .

وفي حوالي القرن الحادى والعشرين ق.م. غزا الآموريون بلاد أكد وهم من جزيرة العرب أصلا ، ويستدل من اسمهم على أنهم أقاموا في «أمور» وهى منطقة من سوريا العليا كانت بين لبنان والفرات ، (٣) . ويرى بعض المؤرخين أن اسمهم مشتق من «أمورو» ومعناه أهل الغرب ، وهذا الاسم هو الذى يطلق على «أهل غربى الفرات من بدو وحضر إلى البحر المتوسط» ، (٤) .

وفى عهد الآموريين اكتسبت عاصمتهم بابل شهرة عظيمة ، وغاب اسمها على سهل شمعار القديم فسمى منذئذ باسم بلاد بابل (٥) .

(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٣ وانظر ص ٣٩ من نفس المرجع .

(٢) انظر ر.د. جيلي : كشوف ومناظرات . مقال بمجلة ديوجين أو مصباح الفكر العدد ١ ص ٨٩ .

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص ٧٠ .

(٤) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٤٣

انظر سارقون : تاريخ العلم : الفصل الثالث من ص ١٤٨ إلى ص ١٨٥

رانظر فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ٧٠ .

(٥) انظر برستد : انتشار الحضارة ص ١٨٦ واقرن هذا بما ذكره المسعودى

فى مروج الذهب ص ٣٢٣

والمعروف أن هؤلاء الآموريين حين خرجوا من شبه جزيرة العرب نزلوا فترة من الزمن بالشام ومنها أغاروا على منطقة بلاد الرافدين ، وكونوا بها دولة كان أشهر ملوكها حمورابي حوالى (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق.م) (١) . وقد اتخذت من بابل عاصمة لها ، ولكنها لم تستطع أن تبسط سلطانها على أرض العراق كلها إلا فى زمن هذا العاهل العظيم . وقد استعمل حمورابي د اللغة السومرية فى رسائله إلى ولايته ، (٢) ولكنه استعمل اللغة البابلية فى قوانينه التى تدل على أن الحضارة البابلية د قبل كل شىء كانت حضارة تشريعية . (٣)

ويتلخص قانون حمورابي فيما يلى : (٤)

= (يظهر أن مدينة بابل لم تؤسس إلا حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م) من تعليق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلاسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٢٦ .
(١) هناك اختلاف فى تاريخ حكم حمورابي فالتاريخ الذى أثبتناه ذكره سارتن فى تاريخ العلم ص ١٤٨ . ويلز يحمل حكم حمورابي ٢١٠٠ ق.م تاريخ العالم ص .

أدى شيرى يجعله سنة ٢٢٣٢ ق.م تاريخ كلد وآثور ص ١٠٣ . وبرستد يجعله سنة ١٩٤٨ ق.م : انتصار الحضارة ص ١٨٧ . وفيليب حتى يجعله حوالى سنة ١٧٠٠ ق.م تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ص ٧٢

(٢) برستد : انتصار الحضارة ص ١٨٨

انظر سارقون : تاريخ العلم ص ١٤٨ — ص ١٥٢

(٣) من تعليق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلاسفة اللغوية لجرجى زيدان

ص ٢٧ .

(٤) راجع سارتون : تاريخ العلم ص ١٩٤ وانظر أدى شير : تاريخ كلد وآثور

ص ١٨ .

- ١ — مقدمة : من قسمين الاول ديني والثاني سياسى .
- ٢ — القوانين : ٢٨٢ مادة
 - أ - الإجراءات القضائية : مادة ١ - ٥
 - ب - الاعتداء على الممتلكات بما فى ذلك الأولاد والعبيد :
مادة : ٦ - ٢٥
 - ج - قوانين العمل المدنى والعسكرى وواجبات الاجراء والموظفين
والزراع مادة ٢٦ - ٤٤
 - د - التعويضات والغرامات والاجور والديون ٤٥ - ٦٦ . . .
 - هـ - العقود فى البيع والإيجارات والاستخدام وبقية قوانين الدين
والوديعة مادة ٧١ - ١٢٦ .
 - و - الأسرة والزواج والتسرى والطلاق والتبني مادة ١٢٧ - ١٩٥ .
 - ز - القانون الجنائى : العين والسن والجراحات والإجهاض وجرائم
الإهمال مادة ١٩٦ - ٢٦٧ .
 - ح - الاسعار والاجور وتحديدما مادة ٢٦٨ - ٢٨٢
- ٣ — الخاتمة : سياسية ودينية .

والقارىء لهذا القانون يستطيع أن يقيىن مدى النظرة الشاملة التى
عالج بها حورابى أمور رعيته ، هذا فضلا عما نلاحظه من عمق هذه
العقلية القانونية التى حملت علما مثل سارقون على أن يقرر د أن الصفات
التي ننسبها للرومان بسبب جهودهم الفقهية القانونية سبق للبابليين أن
أسمروا فيها قبلهم بنحو ألى عام ، وبوجه خاص سبق للبابليين أن يجهروا

سلسلة من الافتراضات التي لا يمكن للقوانين أن تصدر بدونها ، (١)
كذلك فإن شريعة حمورابي تمثل لنا عقلية بابل وشومر من ناحية ،
وتدل على ما كانت عليه بابل من العظمة واتساع التفكير في المعضلات
الاجتماعية والدينية ، (٢) .

ثم تغلب الكاسيون (٣) الذين أتوا من شرق دجلة ، وأقاموا فترة
بالبلاد على بابل حوالي سنة ١٧٩١ ق م ، وظلوا فيها قرابة خمسة
قرون تارة سادة وتارة مسودين ، وكانت بينهم وبين فراعنة مصر
مراسلات ودية ومصاهرات كشف عنها ما ورد في رسائل قل العمارنة في
عهد فرعون مصر إخناتون ، وكانت بينهم وبين الآشوريين حروب
على الحدود بين مملكتيهما ، ثم ضعف أمرهم ، وسارت الغلبة للآشوريين ،
وبذلك انتقل مركز الحضارة إلى بلاد آشور .

وبما لا شك فيه أن الحضارة الآشورية قد استفادت من حضارة
السومريين والبابليين ، فقد ثبت أن الآشوريين أدركوا القيمة العلمية
للنصوص السومرية فجمعوا ألواحها وترجموها إلى الآشورية ، (٤) . وقد

(١) جورج سارتون : تاريخ العلم ص ١٩٥ .

(٢) إسرائيل ولفسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٦ .

(٣) الكاسيون شعب من المحتمل جدا أن يكون من عنصر آري كان على
ما يظهر ينتسب إلى المينانيين (ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ٥٠) راجع
من ص ٥١ إلى ص ٥٥ من نفس المرجع .

(٤) جورج سارتون : تاريخ العلم : الفصل السادس : المرحلة الآشورية ؛

ترجمة الدكتور رشاد الناضوري ص ٣٣٩ .

تعرضت الدولة الآشورية لغزو الآراميين إلا أنها ردتهم على أعقابهم ،
وقضت على دمشق عاصمتهم حوالي عام ٧٣٢ ق.م .

وقد بلغ الآشوريون أوج عظمتهم في عهد سنحاريب
(٧٠٥/٦٨١ ق.م) الذي اتخذ نينوى عاصمة له . ومن عرف بمحبته للعلوم
من الآشوريين آشور بانيبال فقد استجلب من مكتبات بابل وغيرها
من المدن البابلية كل ما وجدته من الكتب القديمة في آداب البابليين
وعلمهم وصناعاتهم وقوانينهم وديانهم ، واستنسخها كلها ، (١) كذلك
أنشأ مكتبة في نينوى جمع فيها كثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية .
ويرى بول ماسون أن الآشوريين « لم يضيفوا شيئا إلى الحضارة
البابلية لكنهم قاتروا بها ، لقد قلقوها بقبول ، وحفظوا شواهدا في
حولياتهم ومكتباتهم ، ونشروا حدودها حتى الحدود الإغريقية
المصرية » (٢) .

وحوالي سنة ٦١٢ ق.م استولى الكلدانيون على سورية - وهم
فرع (٣) من الآراميين تغلغل إلى وادي الفرات الأسفل عرف باسم كلدو

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ١ ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ .

(٣) بول ماسون أورشيل : الفلسفة في الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص ٨١ .

(٤) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ص ٢٧

— انظر فيليب حني « ويرجع أنهم (الكلدانيون) أفراد موجة متأخرة كان
لها بعض العلاقة بالآراميين » . تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٢٣٨ .
وانظر ص ١٧٥ من نفس المرجع .

— ويعلق الدكتور مراد كامل على كتاب (الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان

منذ حوالي القرن ١٤ ق. م. ولقد تحققت لهم أعظم انتصاراتهم في عهد نبوخذ نصر (٦٠٤ ق م) إذ فتح أورشليم (١) ٥٨٦ ق. م. ، وأخذ خير ما فيها ونقله إلى بابل . ولقد كان السكندانيون بحكم الظروف ورثة لتقاليد آشور ومعارفها مما دفع الحياة العلمية إلى الازدهار في عهدهم . فقد مهروا (٢) في العلوم الرياضية والإلهية ، كما كانت لهم عناية برصد الكواكب ومعرفة بطبائع النجوم .

ثم استولى قورش الفارسي على بابل سنة ٥٣٨ ق. م. ثم جاء من بعده الإسكندر ففتح بابل سنة ٣٣٢ ق. م. وكان من جراء (٣) الفتح الملقودني أن تم اصطباغ المنطقة بالهلينية قبل أن تتأثر بالغزو الروماني .

== ص ٢٧ فيقول وقد استطاع الآراميون في إحدى غاراتهم أن يكونوا إماراة بين بابل والخليج الفارسي عرفت باسم كلد ومنها اشتق اسم السكندانيين .
— ولقد وردت نفس العبارة السابقة في كتاب « تاريخ الأدب السرياني » ص ٤ الدكتور مراد كامل

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ١ ص ١٤٢

— انظر فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ ص ١٥٥ ، ص ٢٣٨

(٢) صاعد الاندلسي : طبقات الامم ص ٢٠ ط محمد مطر .

— انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي السكتب والفنون ص ٢٩

وانظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٢٣

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة في الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى

الآراميون

الآراميون شعب سامي خرج من شبه جزيرة العرب « في فترات من القحط باللغة الخطورة (١) ثم اندفع نحو الشمال وهبط سوريا وفلسطين ، واستقر فيها حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م . غير أنهم « لم يكتسبوا اسمهم « الآراميين » حتى أيام تغلات فلاسر الأول نحو « ١١٠٠ ق.م » حين أقاموا في منطقة الفرات الأوسط حتى سورية في الغرب » (٢) .

ولقد تبين أن الهجرة الآرامية كانت من أقدم الهجرات السامية من جزيرة العرب ، وقد تمثلت في جماعات متعددة لا تعرف بهذا الاسم ، فقد أقام الإخلامو وكانوا « مقتنين بالآراميين بصورة وثيقة في شمالي بلاد الرافدين » (٣) كذلك يرجح أن ، « الكلدانيين أو البابليين الحديثين كان لهم بعض العلاقة بالآراميين » (٤) .

(١) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ١٣

(٢) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ص ٣٣٣

— راجع الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٧٨

— بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية « ابتداء من الألف

الثالث ق.م » ص ١٣

— جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام « في الألف الرابع قبل

الميلاد » ص ٥٦

(٣) الدكتور فيليب حقي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٤

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ١٥٧

(٥) نفس المرجع ج ١ ص ٢٣٨ وراجع ص ١٧٥ أيضا

وقد يكون هذا الأمر مما دفع إلى التوسع في مدلول لفظ الآراميين ، إذ يطلقها البعض على الشعوب السامية التي قناترت وتتابعت في منطقة الهلال الخصيب ، ويعلمون ذلك ، بأن بلاد الآراميين يقال لها عند اليهود آرام لأن آرام بن سام هو الذي تبوأها وعمرها بنفسه ، وكذا ورد اسمها في العهد القديم المكتوب في العبرانية ، (١) .

وقد ترقب على ذلك أن التسمية بالآراميين اكتسبت مدلولاً عاماً لايتعارض مع الأسماء التي يسمى بها أهل كل منطقة ، كتسمية أهل بابل وما يحاورها بالكلدانيين ، وتسمية مملكة آشور بالآشوريين وتسمية أهل الشام بالآدوميين ولسكن مع ذلك كانت التسمية بالآراميين تشملهم جميعاً ، (٢)

-
- (١) إقليمس يوسف داود : اللغة السريانية ص ٧
— انظر محمد كرد علي : خطط الشام ج ١ ص ٥٧
— انظر الإصحاح العاشر من سفر التكوين آية ٣٢ ترجمة الآباء اليسوعيين :
(٢) القس يعقوب أوجين متى الكلداني : دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ٧
— لا يأخذ أدنى شبر بهذه التسمية ويقول : إن سكان الجزيرة والعراق على اختلاف مذاهبهم كلدان آثوريون جنساً ووطناً ، وقد دعوتهم كلداناً آثوريين لأن هذين الشعبين هما في الأصل شعب واحد نظراً إلى الديانة والعادات والشرائع والآداب والصنائع ، فضلاً عن اسم الكلدان والآثوريين أطلق دون تمييز على شعب واحد في التواريخ القديمة إذ كانت الدولتان متضامتان غالباً فتصبعان دولة واحدة ، ولا عبرة للحروب المتصلة بينهما ، تاريخ كلدو وآثور الجزء الأول المقدمة .

وواضح هنا أن القصد منه إلى اعتبار منطقة الهلال الخصيب هي موطن الآراميين الأول ، غير أن من الباحثين من يرى أن قيام دولة آرامية اتخذت دمشق عاصمة لها ، وبسطت نفوذها على شمال الشام وإقليم الجزيرة هو الذى أدى إلى نشأة الاسطورة القائلة بأن وطنهم الاصلى هو لإقليم الجزيرة بين دجلة والفرات ، (١)

وإذا كان من العسير (٢) أن نجزم برأى فى المهد الاصلى للأمم السامية بعامة ، فإن النظرية المحتملة أكثر من غيرها تجعل ذلك الموطن الجزيرة العربية (٣) .

كذلك إذا كنا لا نعلم (٤) بالضبط الموطن الاصلى للآراميين من هذه الجزيرة فإن هناك من يرى (٥) أنهم نزحوا من نجد لأن آرام معناها الجبال ونجد جبلية . كذلك هناك من يرى أنهم كانوا فى أول أمرهم قبائل رحل لا ينتقلون فى البادية بين نجد فى الجنوب ، وحدود

(١) الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٤٩

(٢) انظر إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٤ ، ٥ ، ٦

— وراجع الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٧٧

— يعلق الدكتور مراد كامل على كتاب الفيلسفة اللاهوتية لجرجى زيدان فيقول « مما لا شك فيه أن موطن الساميين فى العصر التاريخى شبه الجزيرة العربية » ص ٤١

(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الاول

ص ٦٧ .

(٤) إسرائيل ولفنسيون : تاريخ اللغات السامية ص ٥٤ ،

(٥) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٤٢

الشام في الشمال ونهر الفرات في الشرق ، وخاييج العقبة في الغرب ، (١)
وقد دخل الآراميون ما بين النهرين حوالى سنة ١٣٠٠ ق.م . وعرفوا
باسم « آرام النهرين » (٢) ويقصد بالنهرين هنا « الفرات ورافده
الخابور » وليس الفرات والدجلة (٣) وقد ظلت إمارتهم التي عرفت بهذا
الاسم قائمة حتى قضى عليها الآشوريون قبل نهاية القرن التاسع ق.م (٤) .
ومن إمارات الآراميين في هذه المنطقة « إمارة فدان آرام » وتقع
في السهول المنبسطة بين الجزيرة والشام ، وكان مركزها مدينة حران ...
التي أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الآرامية ، (٥) . كذلك توغل
الآراميون في الشام واستقروا في الشمال وكونوا عددا من الدويلات
منها « إمارة سمأل بين أنطاكية ومرعش » (٦) .
وفي أواخر القرن (٧) العاشر ق.م . أسس الآراميون مملكة « آرام

-
- (١) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٣
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجي زيدان ص ٢٧ .
(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٤
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجي زيدان ص ٢٧ .
(٣) الدكتور فيليب حقي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٦
(٤) انظر الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء من ص ٣٨٠
إلى ص ٣٨٣

- (٥) الدكتور فيليب حقي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٧
(٦) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٤
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجي زيدان ص ٢٧
(٧) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ٤

دمشق ، وقد امتدت (١) من الفرات شرقا إلى اليرموك جنوبا ، وقد خضعت (٢) لها حماء وكل النواحي التي في البادية على سواحل الفرات ، وصارت لها سيطرة على مملكة إسرائيل ويهوذا ، ولولا الآشوريون لشكلت دمشق مملكة عظيمة قوية في سورية إذ استولى عليها الملك الآشوري تغلات فلاسر سنة ٧٣٣ ق.م . وصارت بذلك ولاية آشورية ، وانتهت منها السيادة الآرامية إلى الأبد ، (٣) .

ولقد أتيح للآراميين أن يتلقوا تأثيرات حضارية عديدة مكنهم منها موقع بلادهم ، فكانوا د ورثة الحضارة الآشورية والبابلية والفينيقية والفارسية واليونانية ، وكانوا يتأثرون خطوات هذه الحضارات ويضيفون عليها نوعا من التطور ، (٤) كذلك تأثروا بحضارة الحيثيين والمصريين ، ولعل مما يؤيد ذلك أن د مدينة سمأل وهي إحدى المدن

== انظر تعليقه أيضا على كتاب «الفلسفة اللغوية» لجرجي زيدان ص ٢٨، ٣٧
— يرى الدكتور فيليب حتى أن ذلك كان في أواخر القرن الحادى عشر ١٨
ص ١٧٧ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين .

- (١) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ص ٣٨
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٨
(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ٦٦
— انظر الدكتور مراد كامل ، تاريخ الأدب السريانى ص ٤
(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٨
(٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٥ .
— انظر تعليقه أيضا على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ٣٠ .

الآرامية مدينة حيشية فى تخطيطها وفى عمارتها ، كما وجدت بها بعض التماثيل التى توحى بالتأثر بالتقاليد الحيشية ، (١) كذلك كان الآراميون و أول من اقتبس الأبجدية الفينيقية ، (٢) وقد غيروا رسم صورها قليلا ، (٣) .

ولقد شاعت اللغة الآرامية وتمكنت و ببساطة أبجديتها وسهولة نحوها وصرفها (٤) و بما فيها من سهولة ويسر ، (٥) أن تأخذ مكان اللغة المسارية ، وساعدها على الانتشار نشاط الآراميين التجارى حتى أنها لم تمت فقط و اللغة العامة للتجارة والحضارة والحكومة فى بلاد

(١) الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٨٦ .

— انظر الدكتور فيليب حقي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١

ص ١٨٥ .

(٢) الدكتور فيليب حقي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٨٣

— انظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠٦

— انظر الدكتور مراد كامل : فى تعليقه على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى

زيدان ص ٢٩

(٣) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللفه عند العرب

ص ٧١ .

(٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٥

— انظر حديثه عن اللهجات الآرامية فى نفس المرجع من ص ٧ الى ١٦

— انظر تعليقه على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٣٠ الى ٣٥

واقرن ذلك بما أورده جرجى زيدان فى الفلسفة اللغوية ص ٢٧—٣٢

(٥) الدكتور عبد المنعم محمد حسنين : الإيرانيون القدماء ص ٤٢٩

الهلال النخصيب كلها ، بل اللغة التي يستعملها سكان تلك البلاد في كلامهم (١) .

وقد ظل نفوذ اللغة الآرامية قويا حتى بعد زوال نفوذهم السياسى فلقد ظهر فى بلاط تغلات فلاسر الذى هزمهم سنة ٧٢١ ق.م . كتاب آرامى يدون بالآرامية الغنائم المأخوذة من إحدى المدن المفتوحة (٢) .

وحينما انتقل الحكم إلى الفرس لم تفقد اللغة الآرامية شيئا من رونقها ، بل بقيت لغة رسمية للمملكة ، ولاسيا فى عهد دارا الأكبر (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) وكذلك أيضا فى عهد السلوقيين والفرثيين والساسانيين أصبحت هى اللغة السائدة فى كل آسيا السامية ، وانتشرت أيضا فى شمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وذلك منذ القرون الأولى من ميلاد المسيح ، وظلت إلى القرن السابع منه (٣) .

ولقد كان من آثار النفوذ الذى اكتسبته اللغة الآرامية أن د عرب

(١) الدكتور فيليب حقى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٨٢

— انظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠٧ .

— الدكتور نجيب ميخائيل : تاريخ مصر والشرق الأدنى ٣ ص ٣٢٣ .

(٢) الدكتور فيليب حقى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٨٢ .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ١ ص ١٦٠ .

— انظر الدكتور فيليب حقى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٨٣ .

— انظر الدكتور مراد كامل تاريخ الادب النيراني ص ٤ ، ٥

الشمال أخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها الأنباط ، كذلك حصل الآرمن والفرس والمندود على أبجديتهم من مصادر آرامية ، (١)

وبالرغم من هذا كله فإن التاريخ لم يحفظ لنا كثيرا من آثار الآراميين ، ويعمل برستد ذلك بأن « أكوام المدن الآرامية في سوريا لم يتم حفرها كلها بعد ، ولهذا لم يصل إلى أيدينا إلا آثار قليلة نتحدثنا عن تاريخ تلك المدن » (٢) ويعزو سارتون غموض التراث الحضاري فيما بين النهرين إلى « أن مدن هذه المنطقة المشيدة من الطوب التي اختفت كلها أو معظمها واحدة بعد أخرى دون أن تخلف شيئا سوى خرائب مدفونة تحت الأرض لا يمكن معرفة أخبارها إلا بعد بحوث عسيرة » (٣) .

ولكن (٤) « لا بد وأن الكلدانيين الوثنيين كانت لهم مدارس شهيرة إن كان قبل المسيح وإن كان بعده ، ومما يوجب غاية الأسف أنه لم يصل إلينا شيء من تأليفاتهم سوى كتاب (٥) أحيقار ، ورسالة مارا بن

(١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ١

ص ١٨٣ .

— انظر الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٨٥ .

(٢) انتصار الحضارة ص ٢٠٧ .

(٣) جورج سارتون : تاريخ العلم - ١ ص ١٤٩

(٤) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ٢ ص ٤٠ .

(٥) « أسطورة أحيقار تحوى بعض حكم آشورية وبابلية ، ولكننا

سراييون (١) ، والداعى إلى ذلك هو أن تسمى الكلدان المسيحيين
بديانتهم سابقهم إلى أن يتلفوا من دون تمييز كل أثر وثى اتصل بهم
من أجدادهم .

وهكذا نجد أن المسيحية قد عزلت الكتابات الآرامية عن العالم
وحالت بينها وبين الخروج من معقلها لأنها لم تكن تساير العقيدة
المسيحية ، وبقيت كذلك فى عزلتها حتى العصور الإسلامية المتأخرة حين
قضى المغول عليها نهائيا سنة ١٢٣١ ميلادية ، وبذلك حرم العالم من
ثمار حضارة هؤلاء الأقوام ، (٢) .

وعلى هذا فإن عدم وجود آثار آرامية يرجع تاريخها إلى ما بعد
الفتح المقدونى لا يعنى أن هذه اللغة قد انقرضت بعد فتح الإسكندر
لتخلى مكانها للغة اليونانية ، إذ الواقع أنها ظلت مهيمنة ، وبالرغم من

بالآرامية وقد كتبت فى القرن السابع أو ما بعده ، الدكتور فيليب حتى : تاريخ
سورية ولبنان وفلسطين ١٠ ص ١٨٢ .

— أقرن ذلك بما ذكره الدكتور مراد كامل من أن « تاريخ تأليفها لا يزال
موضع بحث ، وكل ما نستطيع أن نقوله إنها ألفت قبل نهاية القرن الخامس قبل
الميلاد » تاريخ الأدب السريانى ص ٣٣ .

(١) ذهب المستشرق الانجليزى كيوريون إلى أنه ليس من الحقائق الواردة
فى هذا الخطاب ما يحول دون القول بأنه كتب فيما بين نهاية القرن الأول ونهاية
القرن الثانى ، الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٢٦ .

— انظر نص الرسالة فى نفس الموضع من المرجع السابق .

(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٢١ .

ذبيوع اللغة اليونانية إلا أنها ظلت (١) لغة الغريباء ، وأما أهل البلد
الأصائل فقد ظلوا على لغتهم ، فكانت الآرامية هي لغة الشعب ، وكانت
لسان العامة ، وأداة التفاهم في شئون الحياة .

(١) اقليمس يوسف داود : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ص ٤٠ .
— انظر ما ورد في تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل من أن اللغة
اليونانية لم تكن لغة التخاطب وإنما كان تعليمها قاصرا على طبقة المثقفين من
الأغنياء ، ص ٢٦ .

الفصل الثاني

السريان

إذا كان هذا هو شأن الآراميين وحضارتهم فإنه يرد على ذهن سؤال : من هم هؤلاء السريان الذين سنتحدث عنهم ؟ وأين كانوا ؟
يقول أدى شير : وأما سورية فكان اسمها في اللغة المصرية « خارو » أو « شارو » ، واتخذها اليونان فقالوا فيه « سوريا » ، وقيل إن سوريا تحريف « أسوريا » اليوناني أي « آشور » والرأي الأول أصح ، (١) .

ويرى فيليب حتى ما يراه أدى شير فيذكر « أن اليونان كانوا يسمون بلاد آرام سورية » (٢) ولكن لا توجد في الغالب صلة في الاشتقاق بين « سورية » و « أسيريا » و « آشور » (٣) ، وكما أطلق اليونان اسم سوريا عليها كذلك أطلقوا اسم السريان عليهم .

يقول ابن الصليبي « لكنهم أعنى اليونانيين يسموننا قهيرا لنا السريان ونحن نردهم قائلين إن اسم السريان الذي سلبتموه عنا ليس عندنا من الأسماء الشريفة لكونه متأثرا من اسم سورس الذي ملك في أنطاكية فدعيت

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآشور - ١ ص ٥١

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ١ ص ١٨٤

(٣) المرجع السابق - ١ ص ١٨٤ .

باسمه سوريا أما نحن فاننا من بني آرام ، وباسمه ~~سكنا~~ نسمى يوما آراميين (١) .

ويذكر أدى شير أن اسم السريان د اسم غريب خارجي أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل سوريا ، ومن اليونان استعاره الآراميون الغربيون ، ومن السريان الغربيين سرى إلى المنتصرين من السكندان الآثوريين لأنه من سوريا أتتهم المسيحية ، فسموا باسم السريان تمييزاً لهم من السكندان الآثوريين الوثنيين ، فلم يكن الاسم السرياني يومئذ يشير إلى أمة ، بل إلى الديانة المسيحية لا غير (٢) .

ويرى صاحب كتاب اللمعة أن القول بأن لفظة السريان أعجمية « زعم باطل لا أصل له لأنه قول بلاسند ولا بيينة » ولأن الباقيين من السريان الأقدمين في بلاد آثور وكردستان وبلاد الشام إلى يومنا هذا يسمون لغتهم بلسانهم سريانية ، ولا يصدق أن أمة صحيحة منتشرة في جانب عظيم من الأرض تترك اسم لسانها وجنسها ، وتستبدل به اسماً آخر أعجمياً (٣) .

ومنها كان من د أمر اشتقاق لفظ (سريان) فإن أصحابه لم

(١) القس يعقوب السكداني : دليل الراغبين في لغة الآراميين ص ١٠

— راجع بضعة آراء مشابهة في نفس المراجع .

— وراجع أيضاً ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٦٨

— وراجع المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ١٢١

(٢) أدى شير : تاويخ كلدو وآثور ج ٢ المقدمة ص ١ .

(٣) إقليدس يوسف نادر : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ص ٧٠

يعرفوا به قبل أربعمائة أو خمسمائة سنة قبل التاريخ المسيحي ، أما الآراميون الشرقيون وهم الكلدان والآثوريون ، فإن نفس التسمية لم تعرف بينهم إلا بعد المسيح على يد الرسل الذين تلمذوا هذه الديار ، لأنهم كانوا جميعا من سورية فلسطين ، وذلك إذا كان أجسادهم الأولون المنتصرون شديدي التمسك بالدين المسيحي أحبوا أن يسعوا باسم مبشرهم ، فتركوا اسمهم القديم ، واتخذوا اسم السريان ليمتازوا عن بن جنسهم الآراميين الوثنيين ، ولذا أصبحت لفظة الآرامى مرادفة للفظه الصابى والوثنى ، ولفظة السريانى مرادفة للفظه المسيحي والنصراني « (٢) » يقول إقليدس يوسف داود د إلى يومنا هذا نرى الكلدان الآثوريين لا يتخذون لفظة سريانى للدلالة على الجنسية ، بل على الديانة ، فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحي من أى أمة وجنس كان ، (١) .

ويرى الدكتور فيليب حتى أنه د عندما اتخذ المسيحيون الآراميون طبخة أديسا وجعلوها لغة الكنيسة والأدب والتعامل الثقافى ، صاروا يعرفون باسم سوريين ، وأصبح لاسمهم القديم أى الآراميين مدلول وثنى غير مستحب فى عقولهم ، ولذلك تجنبوه بوجه العموم وحلت محله التعابير اليونانية وهى سورى بالنسبة للشعب وسريانى بالنسبة للغة « (١) » .

كذلك يرى الدكتور حسن محمود ما يراه الدكتور فيليب حتى فيذكر د أن

(١) القس يعقوب السكنداني : دليل الراغبين فى لغة الآراميين ص ١١ .

(٢) اللعنة الشهية فى نحو اللغة السريانية ص ١١ .

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٨٤ .

الآراميين لما اعتنقوا المسيحية ، واستخدموا لهجة الرها في كنائسهم وفي آدابهم وثقافتهم نبذوا اسمهم الاول لصلته بالوثنية ، وسموا أنفسهم السوريين أو السريان (١) .

وقد عرض أدى شير للأوجه المختلفة لتسمية السريان فذكر أن للكلدان المسيحيين أسماء كثيرة في التواريخ ، فسموا آراميين نسبة إلى آرام بن سام الذى استوطن هذه البلاد ، وعمرها ينسله ، وفرسا لسكونهم وجدوا فى بلادهم ، ومشاركة لأنهم فى المشرق ، ونساطرة لاتباعهم تعاليم نسطور بطريك القسطنطينية ، وسريانا شرقيين تميزا لهم من السريان الغربيين وهم اليعاقبة ، ولكن اسمهم الاصلى كلدان آثوريون جنسا ووطنا لأن منشأ كنائسهم ومركزها كلدو وآثور ولغتهم الجذسية والطقسية هى الكلدانية ، ويقال لها أيضا الآرامية ، وغلطا سميت سريانية ، كما أنه غلطا أيضا سمي النصارى سريانا، (٢)

كذلك تحقق أن السريان اليعاقبة أيضا أقروا أن أصلهم كلدان آثوريون جنسا ولغة وأن اسم السريان هو يوناني خارجى أطلق غلطا وزورا عليهم . (٣)

وبما يجدر ذكره فى هذا الصدد أن مؤرخى العرب القدماء أطلقوا لفظ السريان والسريانية دون تحديد .

(١) الساميون القدماء ص ٣٨٥ .

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ المقدمة ب .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ المقدمة ج .

يقول المسمودي تحت عنوان « ذكر ملوك السريانيين ولمسح من أخبارهم » إن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان ، وقد قنوزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى السريان هم النبط ، ومنهم من رأى أنهم إخوة لولد ماس بن نبط ، ومنهم من رأى غير ذلك ،^(١) وهو يذهب إلى أن اللسان السرياني « هو اللسان الأول ، لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء » ،^(٢) كذلك يرى الجهمشيساري أن « أول من وضع الكتاب السرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام » ،^(٣)

ويذكر الملقشندى « أن لغة العرب المستعربة وهم بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل كانت السريانية أو العبرية لأن لغة عابر وإسماعيل كانت سريانية أو عبرانية » ،^(٤)

-
- (١) المسمودي : مروج الذهب ١ ص ١٢٩ .
— يعلق ابن خلدون على كلام المسمودي فيقول « إن المسمودي سمي من ملوك السريانيين تسعة متعاقبين في مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لا فائدة في نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بين أيدينا من كتبه وكثرة التغيير في الأسماء الأعجمية » العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢٨ ص ٧٠ .
- (٢) المسمودي : التنبيه والإشراف ص ٦٩ .
— راجع : المسمودي : مروج الذهب ١ ص ٢٧٧ .
- (٣) كتاب الوزراء والكتّاب ص ١ .
— انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣ ص ٣ .
- (٤) صبح الأعشى : ١ ص ٣١٨ ،

البر السافي

المراكز الثقافية في الشرق القديم

أولا : الإسكندرية

حينما نتحدث عن المراكز الثقافية في الشرق القديم ، يرد إلى الذهن ذكر الإسكندرية ذلك لأنها تمثل أحد المراكز الرئيسية التي انتقلت منها الثقافة اليونانية إلى الشرق . يقول أوليري : إن الثقافة الإغريقية التي كانت الدولة الرومانية والكنيسة يذشرانها لم تكن وافدة من أثينا ، بل كانت بؤرتها الإسكندرية من بلاد مصر ^(١) .

وفي قصوري أن هذا الدور الذي قامت به الإسكندرية قد تراءى لمؤسسيها حين هم ببنائها ، وسواء أراد الإسكندر أن يجعل منها مقرا لإمبراطوريته أو يخلق منها ثغرا مقدونيا يخلف صور في العالم التجاري ، فإنه أراد أيضا أن يكون هذا الثغر وقد قام على أسس الحضارة الإغريقية منبعا تتفجر منه عيون تجرى بماء هذه الحضارة ، فيذشر خصبها بين ربوع الشرق القديم ^(٢) .

والواقع أن الأمر كان مهماً للإسكندرية ، لتصبح المركز الجديد للتفكير العالمي على اختلاف اتجاهاته ، فلقد مكنتها موقعها من أن تربط بعلاقات تجارية مع كل الأمم التي تقع حول البحر المتوسط ، كما جعلها حلقة الاتصال الوحيدة بثروة الشرق وحضارته . وكانت عناية حكام مصر بها سببا في أن تزايد مزايها ^(٣) ، إذ اتخذها بطليموس سوترا (٢٢٣ - ٢٨٥ ق م) عاصمة له ، ولما كان متعمقا في دراسة آراء أرسطو

(1) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs p. 19.

(٢) الدكتور إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ص ١٣ .

(3) Encyclopedia Britannica Volume 1. p. ٢81

أخذ يعمل على تنظيم المعرفة والبحث بهمة واقتدار عظيمين ، (١) فأشأ المتحف ، الذي أصبح بعد قليل جامعة هليزية تنافس المدارس الاثينية القديمة (٢) ، وألحق به مكتبة جمعت كل كنوز الحكمة ، وأجرى المنح على العلماء اليونانيين فحبب إليهم الإقامة حوله ، ثم جاء بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٧ ق . م) فاهتم بأمر المتحف أكثر من سلفه وجمع فيه العلماء والشعراء اليونان الذين كونوا فيما بعد الجامع العلمية للآداب والفنون والذين جمعوا في المكتبة ما يقرب من سبعائة ألف مجلد (٣) .

ولقد كان انتقال الحركة العلمية إلى الإسكندرية واضطلاعها بالدور الذي كانت تقوم به أمينا قبل ذلك بداية للدور الثاني في حياة الفلسفة اليونانية ، فبعد أن كانت طرق البحث تأخذ الوجهة النظرية اتجهت إلى الاعتماد على الاختبار للحصول على العلم المنتج .

يقول أ . وولف : إن العلم الفلسفي الذي توارثه الإسكنديون عن مصر القديمة قلاقي بالتفكير الإغريقي ، وفي هذا التصاهر بين العمل والنظر ظفر علم الكيمياء ببدايته ، ولاحظ السكياتيون الإسكنديون أن المادة يحدث لها تغييرات كثيرة ، فأنتهوا من هذا إلى أنها قابلة للتحويل ، وبهذا كانت نظريتهم عن المادة كنظرية أرسطو ، وليكنها كانت مؤيدة إلى حد ما بالتجربة ، (٤) .

(١) ه . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز توفيق ص ١٧٧ .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٧ .

(٣) الدكتور إبراهيم سلامة : تيارات أدبية بين الشرق والغرب ص ١٤٩ .

(٤) انظر الدكتور إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطلمة ص ٥٣ .

ومن علماء هذه الفترة أبولونيوس د. مات حوالى ٢٢٥ ق. م. ، وله كتاب المخروطات فى علم أحوال الخطوط المنحنية ولما أخرجت الكتب من بلاد الروم إلى المأمون أخرج من هذا الكتاب الجزء الأول لاغير ويشتمل على سبع مقالات وترجم الأربعة مقالات الأولى بين يدي ، أحمد بن موسى ، هلال بن أبي هلال ، الحمصى والثلاث الأواخر ثابت بن قره الحرائى ، (١) .

كذلك اشتهر هيبارخوس (١٩٠ - ١٢٥ ق. م.) فى هذه الفترة ، كما اشتهر هيرون (٢) الذى ترجم قسطا بن لوقا البعلبكي كتبه إلى العربية ، ومن علماءها أيضا بطليموس الفلوزى صاحب كتاب الجسطى ، وهو ثلاث عشرة مقالة ، وأول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد ابن برمك ، وفسر له جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض بذلك ، فغضب لتفسيره أبا حسان وسليمان صاحب بيت الحكمة فألقناه ، واجتهدا فى تصحيحه ، وقد قيل إن الحجاج بن مطر نقله أيضا ، (٣)

== انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٤ .

— عرض تاريخى للفلسفة والعلم — ترجمة محمد عبد الواحد خلاف ص ٢٤٢

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٤٤ ، ٤٥ .

— انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٧ .

— انظر الحديث عن مؤلفاته فى مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب

لأوليرى ص ٢٤ .

(٢) انظر : أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٤٦

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٦٩

— انظر أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٤٨

كذلك نجد إقليدس صاحب كتاب الأصول وقد نقله الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي نقلين ، ونقله اسحق بن حنين ، وأصلحه ثابت بن قره الحرائي ، ونقل أبو عثمان الدمشقي منه مقالات ، (١) .

ويبدو أن هذا النشاط العلمي لم تنعكس آثاره في الحياة العامة ذلك لأنه لم تكن هناك تطبيقات للعلم إلا في مجال الطب ، وهكذا حيل بين طواقف الشعب وبين الاستفادة منه ، وظل الأمر محصوراً في نطاق الفلاسفة والعلماء .

يصف هـ. ج. ويلز هذه الحركة العلمية بقوله : كان مثلها كمثل نور في مصباح معتم يجذب النور دون العالم كافة ، وقد تكون الشعلة وهاجة تخطف الأبصار ، ولكنها مع ذلك مستورة لانراها الأنظار ، (٢) ولقد ضعف شأن الإسكندرية قبل استيلاء الرومان عليها ، فلما دخلت في حوزتهم زاد شأنها ضعفاً ، وتغيرت وجهة علومها وانحصرت في الفلسفة ، (٣) .

وترجع أسباب هذا الضعف في رأى « ماهاقى » الى أن البطالة عندما تمصروا ووقعوا تحت سلطان كهنة مصر ، كفوا عن مولاة ما كان يجرى في المتحف من عمل ، ولم يلبث إشرافهم عليه أن خنق روح البحث

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٤٦ ، ص ٤٧ .

— انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٣٨٥

(٢) هـ. ج. ويلز : موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز قرفيق جاويد

ص ١١٩ .

(٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ج ١ ص ٣١١ .

والتقصي خنقا تاما » (١) .

ويرى ويلز أن تقدم العلوم في الإسكندرية د لم يكن يحفز
ويحافظ عليه اهتمام القوم بالتطبيقات العملية ، ولا ما تحدته تلك التطبيقات
من هزة في النفوس ، لذا لم يكن هناك شيء يدعو إلى الاستمرار في
العمل عندما ولى بطليموس الأول والثاني و زال أثر حبهما
للاستطلاع ، (٢) .

كذلك كان استيلاء الرومان على الإسكندرية في حد ذاته له دوره
فيما آلت إليه الحالة العلمية من تدهور ، إذ لا يخفى أن الحياة العلمية
في حاضرة كبيرة تجد صعوبة شديدة في مقاومة الانهيار السياسي (٣) .
وإلى جانب هذا كله ، كان المصريون يكرهون كل ما هو روماني
حتى في الشئون الثقافية الخالصة ، فلم تنتشر الثقافة اللاتينية بين
المصريين ، بل لم تفتش اللغة اللاتينية في مصر ، ولعل هذا ما دفع ولاية
الرومان إلى أن يصطنعوا اللغة اليونانية ، ويتخذوها لغة رسمية في الديار
المصرية ، (٤) .

ولقد كانت مدرسة الإسكندرية د ملتقى الشرق والغرب ، وموطنا
للإهود تم فيه لمزاج عجيب بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية ، ولقد
تمت ترجمة اليونانية للكتاب المقدس د العهد القديم « في هذا المكان ،

(١) نقلا عن هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١١٧

(٢) هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١١٨ .

(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية : ترجمة رمضان لاوند ص ١٨ .

(٤) الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ١٨

وفى وسعنا أن نلتبس فيه وفى أدب الحكمة بداية المحاولة التى كان هدفها التوفيق بين الدين اليهودى والأفلاطونية .

ومن العلماء الذين عملوا فى هذا الميدان فيلو (٢٠ ق م — ٥٠ م)
وفالتيئوس الغنوسطى (١٢٠ — ١٦٠ م) وباسيلسوس (١١٧ —
١٣٨ م) ، وكلمنت (١٥٠ — ٢١٣ م) ، وأرجن (١٨٥ — ٢٥٤)
وأفلوطين (٢٠٥ — ٢٧٠ م) وتعرف كتبه باسم التاسوعات (١) .
وفورفوريوس (٢٢٣ م ومات بعد عام ٣٠١ م) ومن أهم كتبه
لميساغوجى (٢) والجل .

وقد ظلت الأفلاطونية الحديثة سائدة فى المملكة الرومانية حتى
أغلق الإمبراطور جوستيان مدرسة أثينا الفلسفية سنة ٥٢٩ م .
ولقد ناقش أوليرى الرأى القائل بأن هذه الفلسفة إسكندرية

١ — وقد انتشر الكتاب الرابع والسادس من تساعيات الأفلاطون ، فى
صورة مترجمة إلى السريانية تحت اسم لاهوت أرسطوبين المسيحيين الذين كانوا
يتكلمون السريانية ، وعلى الأخص اليعاقبة ، وقبلها المتقدمون من علماء بغداد
من عصر ما قبل الكندى باعتبارها من أعمال أرسطو ، واعتبرها الكثيرون من
المتأخرين كذلك ، ومن السهل أن نرى قدر مساهمة هذه المادة فى خلق تزمة
فكرية حلولية وصوفية كالتى تبدو فى الفلسفة الإسلامية .
أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣٧ .

٢ — يقول القفطى إنه « أخذ عنه وأجنىف إلى كتب أرسطو وجعل أولاً
لها ص ١٧٠ . أخبار الحكماء .

الجورجر ، ورأى أن « ذلك مباينة إذا لم يكن خطأ » (١) لأن
« عناصرها الأولى مستمدة من آراء أفلاطون وأرسطو والرواقيين » (٢).

ولقد « أحدثت الكتب التي وضعها رجال هذه المدرسة إبان حملتهم
على المسيحيين ما لم يكن ينتظره الناس ، فقد غدت اللاهوت المسيحي
بالمكتشفات العلمية اليونانية وتعاليم أرسطو ، كذلك كان لهذا المذهب
أثره في اللatin والتفكير ، إذ كثرت الكتابة في الموضوعات المسيحية ،
وبقيت كلها على مذهب الأفلاطونية الحديثة » (٣) .

ولقد أقدم كثير من أباء الكنيسة على الفلسفة يتدراسونها « لأنهم
رأوا من الضروري أن يؤيدوا أنفسهم وعقائدهم أمام الوثنيين » (٤) .
و « ليستعينوا بما لها من منطق وترتيب في الجدل ، وبما لها من
أبحاث وراء المادة على تأييد وجهة نظرهم » (٥)

غير أن هذا النقاش الذي احتدم في هذه الفترة « قلما أفاد العلم
لأن أبحاثه كانت غايتها دينية » (٦) .

يقول سويتمان : « ولقد كان للأفلاطونية الحديثة أثر عظيم على الفلسفة
الدينية فيها بعد ، سواء في المسيحية وفي الإسلام ، ويجب النظر إلى

(١) أوليري : مشاكل الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣٦

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٥٩

(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٢٠

(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٣٢

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٦٠

(٦) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١١

هذا الأمر بعين الاعتبار عند التعرض لدراسة التصوف الإسلامى » (١). ويقول الفارنى « فصار التعليم فى موضعين ، وجرى الأمر على ذلك إلى أن جاءت النصرانية ، فبطل التعليم من رومية ، وبقي بالإسكندرية ثم نظر ملك النصرانية فى ذلك ، واجتمعت الأساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل ، فرأوا أن يعلم من كتب المنطق إلى آخر الاشكال الوجودية ، ولا يعلم ما بعده لأنهم رأوا أن فى ذلك ضررا على النصرانية ، وأن فيها أطلقوا تعليمه ما يستعان به على فحرة دينهم ، فبقى الظاهر من التعليم هذا المقدار وما ينظر من الباقي مستورا إلى أن كان الإسلام بعده بمدة طويلة » (٢) .

ولقد ظلت مدرسة الإسكندرية قائمة حتى بعد أن فتح العرب مصر وكانت تبعا لهذا المدرسة اليونانية البحتة الوحيدة فى البلاد التى غزاها العرب فى دفعتهم الأولى ، ومن المحتمل الظن بأنها لابد أن تكون قد قامت بدورها فى نقل العلوم إلى العرب (٣) . غير أن التدهور كان قد أصابها حتى أصبح « من الصعب بل قد يكون من عدم الممكن أن نفترض وجود مكتبة كبيرة عامة حقا فى الإسكندرية بعد نهاية القرن الرابع الميلادى » (٤). وعلى ذلك ففى أيام الفتح العربى لم يكن هناك مكتبة ذات أهمية فى الاسكندرية .

(١) J·Windrow Sweetman : Islam and Christian theology p 46

(٢) ابن أبى أصيبعة : ج ٢ ص ١٣٥ طبعة الوهبية

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٢٧

(٤) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤١

ولئن اتفق كثير من مؤرخي العرب في القول بأنه في الإسكندرية في العصر الهليني المتأخر قد ألف مجموع كتب طبية ، وجوامع لستة عشر كتابا من كتب جالينوس (١) ففي يقيني أن هذه الجوامع لم يكن لها قيمة علمية تذكر ، والدليل قول أبي الخير بن الخثار « أنا اظن أنهم قد قمعوا فيما جمعه من ذلك لأنهم يعوزهم الكلام في الأغذية والأهوية والأدوية ، قال الترتيب أيضا قمعوا فيه لأن جالينوس بدأ من التشريح ثم سار إلى القوى والأفعال ثم الاسطقسات » (٢) .

على أية حال فلقد اتصل المسلمون بمدرسة الإسكندرية منذ زمن

== — انظر فليب حتى : تاريخ العرب : المجلد الاول ص ٢٠٣ .
— واقرن ذلك بقول القفطى ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ أخبار الحكماء « فشرع عمرو بن العاص في تفرقة كتبها على حمامات الإسكندرية وأحرقها في مواقدهم »
— وافرته أيضا بما ذكره ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٥
— ارجع بعد ذلك إلى الأدلة التي ساقها جواهر لال نهرو لتفنيد هذه الفرية في كتابه « لمحات من تاريخ العالم » ترجمة الدكتور عبد العزيز عتيق ص ٣٩ .
— وارجع أيضا إلى الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٢٣ ، ٢٤ .

١ — ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤٥ .

٢ — انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٣ ص ١٠٨ وانظر ١٣ ص ١٠٣ من نفس المرجع . وانظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤٥ ، وانظر محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٧٩ .

الفتح ، ولما جاءت الدولة الأموية شجع اهتمام خلفائها بالعلوم المسيحية على تأكيد هذه الصلة ، فاستدعى خالد بن يزيد بن معاوية (١) بعض العلماء من الإسكندرية ، وكلّفهم ترجمة كتب الكيمياء إلى اللغة العربية ، ومن هؤلاء إسطفانوس وماريانوس . كذلك قام ماسرجويه (٢) (ماسرجيس) في عهد مروان أو في عهد عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب في الطب لأهرن القس إلى العربية ، وكان قد وضعه بالسريانية . ثم انتقلت مدرسة الإسكندرية (٣) إلى مدينة أنطاكية في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، ويمكن أن نغزى ذلك إلى أن الإسكندرية فقدت أهميتها بعد أن اتخذ العرب عاصمتهم في القسطنطينية ، وأصبحت الإسكندرية في عزلة تامة عن مركز السيطرة والسلطان ، فكان قيام الدولة الأموية في الشام وعلو نجم الأمويين وعاصمتهم دمشق حافزا على انتقال مركز العلم والعرفان إلى موطن حكمهم ، وأخذ بعض الخلفاء والأمراء الأمويين يشجعون

(١) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠ ص ٢١١ وانظر ابن النديم : الفهرست ص ٥١١ وانظر خودابخش : الحضارة الإسلامية : ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي ص ١٥٣

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٥٧ وانظر ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٧

وانظر خودابخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٣ .

(٣) راجع الروايات العربية عن انتقال مدرسة الإسكندرية عند ماكس مايرهوف في بحثه د من الإسكندرية إلى بغداد ، من ص ٦١ إلى ٦٠ .

رعاياهم الضليعين في العلوم الإغريقية على متابعة جهودهم ، وقربوا إلى بلاطهم من يمكن الاستفادة بهم كالأطباء حتى أضحت الشام تربة صالحة تنتقل إليها معارف مدرسة الإسكندرية (١) .

ولقد ذكر خودابخش أن عمر بن عبد العزيز « اهتم بالدراسات اليونانية أثناء حكمه لمصر في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وفي مصر تعرف بابن أيجر مدرس الفلسفة اليونانية في الإسكندرية ، وقد استمرت الصداقة طويلا ، وحينما قولى عمر بن عبد العزيز انتقلت الدراسات اليونانية من مصر إلى أنطاكية وحران ومنها إلى سائر الامصار الإسلامية ، والاستاذ شبلى على حق في ظنه أن الفضل في ذلك يرجع إلى رحيل ابن أيجر عن الإسكندرية » (٢) .

ولقد ظلت بقايا مدرسة الإسكندرية ماثلة حتى العصر العباسى « وهى وإن ضعفت تعاليمها ودراساتها فقد كان لها أثر باق فى هذا العهد » (٣) .

(١) الدكتور إبراهيم العدوى: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٤

(٢) خودابخش: الحضارة الإسلامية ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الأدب في العالم ص ١٢٧٦ .

ثانياً حـران

تقع حـران فى شمال العراف بين الرها ورأس العين ، وقد اتخذت عاصمة لإمارة فدان آرام ، كما كانت مركزاً هاماً من مراكز الثقافة الآرامية ، تردد ذكرها فى التوراة بما يشير إلى صلة الآراميين بالعبـانيين (١) .

ولقد سكنها كثير من اليونانيين على عهد الإسكندر الأكبر ، وكان من أثر ذلك أن الآلهة المعبودة عند الحـرانيين اتخذت أسماء يونانية (٢) .

وترجع أهمية حـران إلى أنه اتصلت فيها وثنية الساميين القديمة بالابحاث الرياضية والفلسفية ، وبنظريات المذهبين الفيثاغورى الجديد والافلاطونى الجديد (٣) .

ولما جاءت المسيحية لم يعتنقها الحـرانيون ، ولذلك سميت حـران هيلينوبوليس (٤) أى مدينة الوثنيين بدافع (٥) السخرية والاحتقار .

(١) الدكتور نجيب ميخائيل : تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ٣٠٠
سوريا ص ٢٧

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٦

(٣) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة محمد عبد الهادى أبوربده
ص ١٨ .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية فى مادى حـران وصابئة .

(٥) الدكتور عبد الرحمن بدوي : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية

ص ٧١-٧٢ .

ويبدو (١) أن دينهم كان مزيجاً من الديانة البابلية واليونانية القديمة والأفلاطونية الحديثة حتى كان شأنهم كذلك في العصر الإسلامي إلى عهد المأمون ، فتسموا إذ ذاك بالصابئة احتفاءً بما يفهم (٢) من القرآن الكريم من عدد الصابئين من أهل الكتاب ، واستناداً إلى أن « أحداً لم يكن يعرف من هم الصابئون » (٣) . وما يجدر ذكره أنه « لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة » (٤) قبل ذلك .

وقد وقع خلاف في أصل الصابئة في الآثار الباقية « أن أول المذكورين من المعتنقين بوذاست وقد دعا إلى ملة الصابئين ... وبقياً أولئك الصابئة بحران ينسبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرانية ..

== اقرن ذلك بقول الدكتور إبراهيم العدوي « وكانت مدينة حران تسمى هيلينوبوليس . أى مدينة اليونانيين لتقدم العلوم اليونانية » .
« الدولة الإسلامية والإمبراطورية الروم ص ١٦٦ .

(١) احمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٧ .
(٢) راجع قول الله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » سورة المائدة : الآية ٦٩

== وراجع أيضاً قوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والنجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد » سورة الحج : الآية ١٧ .

(٣) O'Leary : How Greek Science Passed to the Arabs P. 172-173.

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٠ . راجع في هذا الموضوع أسباب ==

وقد قيل إن هؤلاء الخرافية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة ، بل هم المستخون في السكتب بالحنفاء والوثنيين ، (١) .

وفي كشف الظنون أن الصابئة هم الذين قالوا بقاذيمون وهرمس وهما شيث وإدريس عليهما السلام ، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء ، (٢) .
وفي التنبيه والإشراف : وصابتو المصريين الذين بقيتهم في هذا الوقت صابتو الخرافيين ، (٣) .

ويرى أوليري : أن الصابئين الحقيقيين كانوا في جنوب بلاد العرب ، ولم يكن لحران علاقة بهم ، (٤) .

ولقد اختلفت مذاهب الصابئة باختلاف فرقهم فهناك : صابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وصابئة فلاسفة ، وصابئة يأخذون بمحاسن

انتمعالهم بهذا الاسم . ثم راجع ماعلق به :

— وراجع أيضا : دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام : ص ١٩ .
— كذلك راجع الدكتور ابراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٦ .

(١) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي السكتب والفنون ص ٢٧

— انظر دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٩

— وانظر الشهرستاني : الملل والنحل القسم الثاني ص ٦٦٣ .

(٣) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ١٠١

(4) O'Leary : How Greek Science passed to the Arabs p. 173

ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بملة ولا نحلة ، (١) .

ومن الصابئين من « يعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء » (٢) ومنهم من يرى « أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلاً وحالة » (٣) .

ويذكر ابن العبري أن « دعوة الصابئة هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها » (٤) .

ومن الصابئين قوم سكنوا البطيحة « وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة » وهؤلاء كانوا « فرقة من النصاري يؤمنون بالمسيح عليه السلام » (٥) .

ومن طوائف الصابئة الحرثانية ، وقد قال هؤلاء « إن الصانع المعبود واحد وكثير ... وقالوا هو أبدع الفلك ، وجمع ما فيه من الأجرام

(١) الألويسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٣ ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل : تحقيق محمد بن فتح الله بدران القسم

الثاني ص ٦٧٣

(٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٦

(٥) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٠٤

والسكواكب وجعلها مديرات هذا العالم ، (١) .

ولقد قامت مدرسة حران في عهد الخليفة المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١ م
٢٣٢ - ٨٤٧) حين انتقلت إليها مدرسة أنطاكية ، ولقد تم نقل
هذه المدرسة إلى حران على يد قلميذين لا يعرف اسمها ، تلميذا على
أستاذ كان في أنطاكية لا يعرف اسمه كذلك ، وحمل هذان التلميذان
معها مكتبة أنطاكية إلى حران ، (٢) .

ولقد توفرت عدة عوامل ساعدت حران على أن تخلف أنطاكية
و إذ كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية في المنطقة التي تسكن أهلها اللغة
السريانية ، كما كانت كذلك مركزا للتبادل والاتصال الثقافي ، (٣) .

ولقد ظلت مدرسة حران تقوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها
علمائها إلى بغداد في خلافة المعتز .

يقول نيكولسون : إن مدرسة الصابئة ببغداد وهي المدرسة التي

(١) الشهرستاني : الملل والنحل : القسم الثاني ص ٨٧٢ وانظر ص ٧٨٨
من نفس المرجع .

— راجع القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٠٤ .

(٢) الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم
ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

— راجع الدكتور عبدالرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية
ص ٦٩ ، ٧١ .

(٣) الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦
— انظر الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في أصول التعريب ص ٧٤ .

أنجبت طبقات متعاقبة من أفذاذ العلماء والفلاسفة لم تؤسس حتى نهاية القرن التاسع ، ومع ذلك يكاد الإنسان يوقن بأن الاتصال الفكرى بين الصابئة والمسلمين قد وجد سبيله إليهم قبل هذا التاريخ بزمان طويل ، (١).

وكان فى طبيعة أولئك الذين جاءوا من حران ثابت بن قرة (٢٢١ — ٢٨٨ هـ) الذى أوصله محمد بن موسى بن شاكر بالمعتضد ، وأدخله فى جملة المنجمين ، وهو الذى أدخل الصابئة إلى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم ، وعلت مراقبتهم ، وبرعوا ، (٢).

وسنان بن ثابت وكان طبيبا للمقتدر ، وقد بلغ من علو منزلته أن وكل إليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وإجازتهم ، ولقد أشار سنان بفتح البيارستان المقتدرى ، وأنفق عليه من ماله ، كما فتح بيارستان « السيدة » ورتب المتطربين به ، ولقد نقل إلى العربى نواميس

(١) نيكولسون: فى التصوف الإسلامى ص ١٥ ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ٨١ .

— راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .

— يقول عنه كويلر يونج « أنه من مشهورى العرب الذين قاموا فى الفلك بملاحظات قيمة ، وقلوا أعمالا مهمة ضاعت أصولها الإغريقية ، وهو زعيم طائفة من عبدة النجوم ازدهرت فى حران إلى أن خرب المنحول معبدهم فى القرن الثالث عشر . »

« أثر الإسلام الثقافى على المسيحية ص ٢٣٦ » مقال فى « كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله .

هرمس ، والصلوات التي يصلّي بها الصابئون ، ومن تصانيفه (١) رسالة في تاريخ ملوك السريان ، ورسالة في شرح مذهب الصابئين .

ولإبراهيم بن سنان : وكان فاضلا في علم الهندسة ، مقدما فيها ، وله مصنفات حسان في هذا الشأن (٢) . من أهمها إحدى عشرة مقالة في الدوائر المتماثلة .

وهلال بن إبراهيم : وكان طبيبا حاذقا تقدم عند أجراء بغداد وخالطهم بصناعته .

وثابت بن إبراهيم (٣) : وكان كذلك طبيبا حاذقا ببغداد . والبتاني وهو « أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم » وكان أصله من حران صابئا ، (٤) .

وهكذا قدمت حران كثيرا من الأساقفة الذين أمدوا الفكر العربي بطاقة هائلة دفعته نحو التقدم .

وقد ظهر أثر الحرائيين « الأكبر في الرياضيات وخاصة الهيئة ، ولعل ما في دياتهم من تعظيم الكواكب ، وإقامة الهياكل لها ، كان باعثا على نبوغهم في العلوم الرياضية والفلكية » (٥)

(١) انظر قائمة بتصانيفه في أخبار الحكماء للقفطى ص ١٣٣

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥

— راجع القفطى : أخبار الحكماء ص ٤٢، ٤٣

(٣) انظر تفاصيل أخباره عند القفطى : أخبار الحكماء ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٩

كذلك كانت حران ، أحد المراكز الرئيسية التي أشعت الثقافة اليونانية على العالم الإسلامي فالشهرستاني وغيره من المؤلفين المسلمين يصفون دين الحرايين الفلاسفي وصفا ينطبق على الأفلاطونية الحديثة ، كما نعرفها في فلسفة ابرقلس ويمبليخوس ، (١) ولقد تفوق الحرايون على الآخرين ، بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذا كانت ترجمتهم أكثر دقة ، (٢)

ولقد عرض سويتمان إلى الأفكار التي انتقلت إلى المسلمين عن طريق حران فقال ما ترجمته : إن أدب هرمس المتعدد الجوانب كان له تأثيره في حران ، ويضاف إلى هذا الأفلاطونية الحديثة التي لم يكن من السهل أن نفرق بينها في هذا المجال وبين فكرة الخلاص الهندية ، فإذا كان من المستطاع أن نطلق على هذا المركب الحضاري اصطلاحا

== — انظر الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية والإمبراطورية الروم ص ١٦٦

(١) نيكولسون : في التصوف الإسلامي : ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي ص ١٥ .

— ويتفق معه فون فيسنك فيقول إن لامتزاج الحضارة العربية ببقايا المدينيات القديمة ، ولا سيما بتلك التي برزت من مدينة حران السورية أهمية خاصة فمنها كانت تنسرب بدائع الحضارة اليونانية إلى نظم القرن التاسع .

ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية في القرن الرابع عشر ص ١٧١ : ترجمة محمد عبد الله عنان : رسالة نشرت مع فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

(٢) خود البخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٨ .

أو تعريفا ، فإنه كان قد نضج وتم قبل أن يصل إلينا ، وإن التمييز الذي صنعه الحراثيون بين هرمزوسيث أنبيائهم وبين أغاذيغون وإيشك يشير إلى نزع من الغنوسطية ، وربما كان لبعض الأفكار الذاهبة إلى وحدة الوجود في الإسلام أصول في هذه المدرسة ، ولم تكن الأفكار الصوفية وحدها ذات أهمية عند الحراثيين ، فقد شاعت بينهم بعض الأفكار الارسطية المشهورة ، وقد ذكر الفهرست أبو روح الصابئي على أنه مترجم لكتاب الطبيعة ، كما لخص ثابت بن قره كتاب التاسوعات ، وشرح جزءا من كتاب الطبيعة مع بعض تعليقات لفورفوريوس ، ولم تكن الصابئة بمنأى عن التأثر بالمسيحية إذ أنها لم تكن بعيدة عنها في الرها ورأس عين ، (١)

(١) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology
P. 85.

ثالثا : جنديسابور

حين قولى سابور بن أردشير « ٢٤١ م — ٢٧٢ م ، أمر الفرس ، استطاع أن يهزم فاليران إمبراطور الروم سنة ٢٥٨ م ، ويفزو بلاده ، ويفتح منها عدة بلدان ، ولقد تمكن سابور في هذه الحرب من أن يأخذ فاليران أسيرا هو وجيشه ، ولكنه كان لطيفا مع هؤلاء الأسرى لثقافتهم الفائقة ، ولرغبته الملحة في استغلال مواهبهم ، واستشار مهارتهم فيما يعود على بلاده بالخير (١) ولقد استخدمهم في تنفيذ كثير من المنشآت الهندسية ، فأرسل كثيرا منهم ليقوموا خزانا (٢) عظيما يسمى « شاذوران » على نهر الدجيل (٣) أسفل تستر .

وكان من نتيجة ذلك أن ارتفع ماء النهر إلى المدينة لأن تستر كانت تقع على مكان مرتفع من الأرض (٤) ، ولقد وصف ياقوت هذا

(١) يقول أبو حنيفة الدينورى في الاخبار الطوال ص ٤٩ ط . ليدن ، كان سابور قد أسر الريانوس خليفة حاحب الروم ، فأمره ببناء قنطرة على نهر تستر على أن يخليه ، فوجه اليه ملك الروم الناس من أرض الروم والأموال فبناها ، فلما فرغ منها أطلقه .

(٢) جاء في تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٨٠ ، وهندس له رئيس الروم القنطرة التى على نهر تستر وعرضه ألف ذراع ،

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان ج ١ ص ٨٤٨ أن بخوزستان أنهار كثيرة وأعظمها نهر تستر وهو الذى بنى عليه سابور الملك شاذوران بباب تستر .

(٤) راجع ابن خرداذبه : المسالك والممالك ط . ليدن ص ١٧٢ وراجع ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٢٧ .

الشاذوران بأنه من عجائب الابدية ، فطوله نحو الميل ، وهو مبني بالحجارة المحكمة والصخر وأعمدة الحديد (١) .

وقد أسكن سابور هؤلاء الأسرى في ثلاث مدن ، كانت إحداها قريبة من سوسة ، وقد سميت « به آن انديوى سابور » أو السابورية التي تفضل أنطاكية (٢) أو جنديسابور (٣) أي معسكر سابور .

ولقد ظل شأن جنديسابور عظيما حتى عهد هرمز إذ توقفت عن أن تكون مقرا ملكيا منذ ذلك الحين ، وبدأت تتحول تدريجيا إلى أكوام من الخرائب والأطلال حتى جاء سابور الثاني ، وألقاها على هذه

(١) انظر معجم البلدان ج ١ ص ٨٤٨ . وانظر ابن خرد ذبه : المسالك والممالك ص ١٦٢ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٨٦١ - ص ٨٦٦ الطبعة الحسينية .

(٣) يقول أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال « إن اسمها بالخوزية نيلاط وأهلها يسمونها نيلاب » ص ٤٨ .

— وفي معجم البلدان ج ٤ ص ٨٦١ (أن من أسماء جنديسابور نيلاب ، وكان اسمها قديما نيلاط .

— انظر سيب التسمية في معجم البلدان ج ٢ ص ١٣٠ ، ج ٣ ص ٥٥ .

— يذهب القفطي إلى أن « سابور ابن أردشير كان قد هادن فيليبس قيصر ملك الروم ، فطلب منه أن يزوجه ابنته ، وقبل أن تنتقل اليه بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية ، وهي مدينة جنديسابور » ، أخبار الحكماء ص ٩٣

— يتبع عيسى اسكندر المعافى ابن القفطي في كتابه : تاريخ الطب عنده الأمم القديمة والحديثة ص ٩ ط . دمشق .

الحال فأعاد بناءها (١) وسماها أنتيسابور أو أنطاكية سابور .

وقد رجح أوليري (٢) الرأي القائل بأن سابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢ م) هو الذى أسسها ، وإن كان سابور الثانى قد جدد معالمها بعد أن تهدمت ، وقد هورت منذ أيام هرمن غير أن « أدى شير » يذكر أن سابور الأول « قد جدد بناء كوند يشابور ودعاهما أنطيشابور » (٣) .

ويبدو أن رأى أوليري مستقى عما قرره معظم المؤرخين القدامى أمثال اليعاقبة (٤) ، وياقوت (٥) ، وأبى حنيفة الدينورى (٦) ، وابن الأثير (٧) .

(1) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs P 17.

(٢) نفس المرجع ص ١٧ .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢٦

(٤) (وملك سابور بن أردشير فبنى مدينة جنديسابور) ج ١

ص ١٨٠ .

(٥) (جنديسابور بناها سابور بن أردشير) معجم البلدان ج ٢

ص ١٣٠ .

(٦) (فلما ملك سابور بن أردشير بنى مدينة جنديسابور)

الأخبار الطول ط . ليدن ص ٤٨ .

(٧) (إن سابور ذا الاكتاف أسر قيصر وألزمه بنقل التراب

من بلد الروم ليبنى ما هدم المنتجنيق من جنديسابور) الكامل ج ١ ص ١٥٨ .

— راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٥١ .

فلقد اتفقت كلمة هؤلاء على أن سابور بن أردشير هو الذى بنى جنديسابور ، وأن سابور الثانى هو الذى أعاد بناءها . ولقد انفق مع أوليرى غير (١) واحد من المحدثين .

ولقد ذهب الفردوسى الى أن أردشير هو الذى بنى جنديسابور . يقول فى الشاهننامه : ثم أمر ببناء مدينة على اسم ولده سابور ، وهى التى تسمى جنديسابور ، (٢) .

ولقد جعل سابور من جنديسابور مركزا للنشاط العقلى فقد أبدى « عناية عظيمة بجمع كتب الفلسفة لليونانيين ، ونقلها إلى اللغة الفارسية » (٣) وبعث رساله إلى بلادهم ليحتملوا بها له دشم اختزنها فى مدينته وأخذ الناس فى نسخها وتداولها (٤) كذلك استقدم إليها من ذاعت شهرته من العلماء والحكماء ، وكان دورسوس (٥) السريانى واحدا من الذين قاموا بشرح هذه الكتب وتعليمها للناس ، ولقد اقتفى سابور الثانى أثر سابور الأول فاستدعى الكثيرين ممن نبغوا فى الطب وتأليفه ، وحسب إليهم

(١) راجع ف . بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ٤٦ .

— انظر أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٥ .

— وانظر الدكتور التيجانى الماحى : مقدمة فى تاريخ الطب العربى ص ٥١ .

(٢) ٣ ص ٥٢ .

(٣) أبو الفدا ص ١٠٥٠ .

— رجع الفهرست لابن النديم ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ص ٣٢٢ .

(٥) انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٤٨ .

الإقامة في جنديسابور ، وكان من بين هؤلاء طبيب يوناني اسمه
قيادورس (١) .

وعندما أغلق الإمبراطور زينون مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م لاعتناق
أساقفتها المذهب النسطوري ، فر إلى جنديسابور جميع من فلاسفتهم
وأطبائهم فاحتضنهم أكاسرة بني ساسان .

ولم تكن لغة أهل جنديسابور واحدة ، وإنما كان فيها من يتكلم
الإغريقية ، ومن يتكلم السريانية ، وقد تكون الظروف قد اضطرت
السكان إلى استعمال الفارسية ، غير أن اللهجة السريانية أصبحت لغة
الدراسة في الطب وفي العلوم الطبيعية في مدارس الفرس تحت حكم
الساسانيين ، وكان ذلك على الخصوص في مدرسة جنديسابور ، (٢) .

ويبدو أن الحركة العلمية الدائبة التي أحدثتها أولئك الأئمة
الرومانيون منذ أن استوطنوا جنديسابور هي التي دفعت بهذا البلد
إلى أن يصبح فيما بعد منبعاً للثقافة اليونانية (٣) ، بل إن ذلك كله كان
بمثابة الإرهاصات الأولى لمدرسة علمية كان لها شأنها في تزويد الفكر

(١) يقول ابن النديم : « إن قيادورس كان نصرانيا ، وبني له سابور ذو
الاكتاف البيع في بلده ، . . . ونقل له إلى العربي كتاب كتاش قيادورس »
الفرست ص ٤٣٦ .

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١ ص ٣٠٨

(٢) الدكتور حسن عون : العراقي وما توألى عليه من حواشيات ص ١٢١

(٣) راجع أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٥

الإنسانى بدفعات كلها قوة وحيوية ، فلقد أسست في جنديسابور (١) في عهد خسرو الأول (٥٣١ - ٥٧٩ م) مدرسة طب يونانية سورية ، وكان خسرو الأول بوجه عام ، كثير الإعجاب بالثقافة الإغريقية الرومية ، ورغب رغبة خصوصية في أن يجلب علم الأغريق إلى ممتلكاته ، (٢) ، وقد دفعته رغبته في أن تكون لديه مدرسة في ملكته كذلك المدرسة التي قامت في الإسكندرية ، وذاع صيتها إلى أن يرحب بالفلاسفة الذين طردوا حين أوصد جستنيان أبواب مدارس أثينا ، فأكرم وفادتهم ، وحجب إليهم الإقامة في رحابه ، وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها إلى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب . ويرى ماكس فانتاجو أنه بفضل هؤلاء العلماء نظمت المدارس الفارسية على طراز مدارس أثينا والإسكندرية ، وحملت تقاليدها ، كما أن كتباً كثيرة نقلت بواسطتهم إلى الفهلوية ، وانتشرت الثقافة اليونانية بسرعة في بلاد فارس ، (٣) .

ولقد كانت مدرسة جنديسابور في بدايتها مستشفى (٤) لمعالجة

(١) راجع ف بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزه ظاهر .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ١٠١ .

— يذكر ابن النديم أن كسرى أنوشروان جمع الكتب وألفها ، وعمل بها لنيته

كانت في العلوم ومحبه ، الفهرست ص ٣٤٨ .

(٣) المعجزة العربية ترجمة رمضان لاوند ص ٢٥ .

— انظر جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند

العرب ص ٨٢ .

(٤) راجع جريجى زيبان تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٩١ .

المرضى وتعليم صناعة الطب ، وكان الرومان أول من علم الطب بها ، ذلك لأنهم د لما أقاموا بها بدأوا يعلمون أحداثا من أهلها ، ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ، ويتزايدون فيه ، ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل (١) .

ولقد قرست مدرسة جنديسابور خطوات مدرسة الإسكندرية ، واستلمت خططها ومناهجها ، بل واستعارتها منها ، وأفسحت لها المجال فى دراستها ، فكان برنامج الدراسة فيها صورة لما كان عليه فى الإسكندرية . يقول أوليرى إنه د فى أواخر عهد مدرسة الإسكندرية اعتبرت مؤلفات غالين (٢٠٠ م) حجة فى الطب ، واتخذت مختارات من مؤلفاته برنامجا رسميا لدراسة الطب ، وقد استعيد هذا البرنامج فى مدرستى الرها وجنديسابور ، وأعدت نسخ سريانية ليستعملها الطلبة الذين يتكلمون السريانية ، (٢) .

ويذكر أوليرى فى موضع آخر من كتابه مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب أن خسرو الأول « جلب منهج الدراسة الإسكندرية ، فقامت الدراسة على كتب جالين ، كما كانت الحال فى الإسكندرية أيضا ، (٣) .

(١) القفطى أخبار الحكماء ص ٩٣

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٥٠

— يقرر أحمد أمين أن « فى مدرسة جنديسابور كانت تعلم العلوم اليونانية باللغة الآرامية ، ضحي الاسلام ص ٢٥٥

(٣) ص ١٠١

غير أن ذلك كله لم يمنع الثناقات الأخرى من أن تجد لها مكانا وسط هذه الدراسات الجادة مما يشير إلى أن أساس التعليم في مدرسة جنديسابور كان غير مقصور على المؤلفات اليونانية والسريانية ، بل أضيف إلى ذلك تعاليم من فلسفة الهند وآدابها وعلومها ، وترجمت إلى اللغة الفهلوية ، وهي اللغة الفارسية القديمة ، (١) .

ويتضح من هذا أنه كانت تدرس (٢) في هذه المدرسة العلوم اليونانية والسريانية والفارسية والهندية جنبا إلى جنب مما يدفع إلى القول بأنه من الخطأ أن يظن أن اليقظة الفكرية في فارس قد اعتمدت فقط على المسيحيين النساطرة .

يقول أحمد أمين إن في مدرسة جنديسابور كانت الثقافة الهندية تدرس بجانب الثقافة اليونانية ، وكان يشترك بعض الهنود في التدريس باللغة الفهلوية ، (٣) .

ويذكر ماكس فانتاجو أن د كسرى قد أمر بنقل الكتب الهندية المكتوبة باللغة السنسكريتية التي حملها إليه سفراؤه من الهند إلى اللغتين السريانية والفهلوية ، وبذلك قوبلت في جامعة جنديسابور النظريات الهيلينية الطبية بنظريات الأطباء الهنود ، وتسنى لطلاب اللغة السامية أو الإيرانية الاطلاع على مؤلفات العالم اليوناني الرئيسة وأحدث

(١) إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربي ص ١٣ .

(٢) راجع جورج كورك : موجز تاريخ الشرق الأوسط : ترجمة عمر الإسكندري ص ٤٥ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٦ .

نجاحات العلم الهندي ، (١) .

وهكذا التقت في جنديسابور الحكمة الهندية والفارسية واليونانية
التقاء نخبها أدى بمدرستها إلى أن اشتهرت في بلاد الفرس اشتهار
مدرسة الإسكندرية في مصر ، ومدرسة بيروت في سورية ، (٢)

ولقد أورد القفطى خبرا عن أطبائها يدل على أنهم كانوا أهلا لما
عرف عنهم من فضل ، وما اشتهروا به من علم ، فيقول : في سنة عشرين
من ملك كسرى اجتمع أطباء جنديسابور بأمر الملك وجرى
بينهم من المسائل والتعريفات ما إذا تأملها القارئ استدل على فضلهم
وغزارة علمهم ، (٣) .

ولقد بدأ اتصال العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام ، ، فلقد
تغلغل النفوذ الفارسي في الجزيرة العربية أيام كسرى الأول الذي استجاب
لندجة اليمانيين ، فأرسل لهم حملة حررتهم من غير المسيحيين الاحباش
سنة ٥٧٠ م ، مما كان سببا في توثيق العلاقات الفارسية العربية ، وحدا
بعدد عظيم من جند هذه الحملة عن طاب لهم المقام باليمن أن يتخذوا
لأنفسهم زوجات عربيات ، ثم يستوطنوا اليمن ولا يفرحوها ، ولقد
سارت الأمور إلى أبعد من ذلك إذ أن بلاد العرب الجنوبية ظلت
ولاية فارسية إلى أن فتحها المسلمون (٤) .

(١) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٢٥ :

(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٣ .

(٤) راجع بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ١٤ .

والذى يهمنا أن ننبه إليه هو النتائج الثقافية التى قرئت على هذا الاتصال ، فالتقدم منحت الفرصة للطلاب العرب أن يواصلوا دراساتهم فى الجامعات الفارسية ولا سيما جنديسابور . يقول ابن العبرى فى حديثه عن الحارث بن كده « إنه من أهل الطائف ، رحل إلى أرض فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها فى الجاهلية وقبل الإسلام ، وجاد فى هذه الصناعة ، وقد أدرك الحارث الإسلام ، وكان النبی صلى الله عليه وسلم يأمر من كان به عله أن يأقيه فيستوضحه » (١) .

كذلك عمل هذا الاتصال على تمكين العرب من فهم الحضارة الفارسية وتقديرها ، كما عمل على تعريفهم بطراز الحكم فى فارس وأساليب القتال التى يجيدها الفرس ، وقد يجد الباحث فى ذلك بصيصا من الضوء يفسر انتصارات العرب العسكرية بعد ذلك ، ولا شك أن هذه الخطوات كانت بمثابة إرغاصات بقيام الحضارة العربية الفارسية التى ازدهرت فى بغداد بعد ذلك بقرنين من الزمان .

ولقد فتح المسلمون جنديسابور فى أيام عمر بن الخطاب وعلى وجه التحديد فى السنة التى فتحوا فيها « نهاوند » أى سنة ٢٩ هـ (٢) ، غير أن ابن الأثير يحمل فتحها سنة ١٧ هـ (٣) .

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٦

• انظر القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١

(٢) ياقوب : معجم البلدان ج ٢ ص ١٣٠

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٢٢٤

ولقد ظلت المدرسة على الرغم من الفتح العربي قولى عنايتها للدراسات الإغريقية ولاسيما مايتعلق منها بالطب .

يقول ف بارقولد د كان للمسلمين طريق آخر غير بوزنطه لتلقى العلوم اليونانية ، وهو مدرسة الطب التى بجنديسابور ، والتى بقيت قرونا عدة بعد فتح المسلمين ، (١) .

ويقول خودابخش د رغم سقوط الدولة الفارسية فقد استمرت الأكاديمية فى نشاطها طوال ثلاثة قرون انقضت على نهاية الساسانيين ، (٢) ويرى ماكس مايرهوف د أنه لم يكن لمدرسة جنديسابور فى العصر الأموى أى أثر فى قيام مدرسة طبية ، ولو أن بعض الأطباء أتوا من هناك إلى جزيرة العرب وسوريا ، وإنما بدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة فى أوائل حكم العباسيين ، (٣) .

ويقول كويلر يونج د وقد تلقى المسلمون العلم اليونانى عن طريق السريان المسيحيين ولا سيما الفسطوريين الذين كانت عاصمتهم الفكرية مدينة جنديسابور ، قام هؤلاء السريان بالترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية خلال القرنين الأولين من الإسلام ، وقد أضيف الكثير إلى هذا فى القرنين التاليين ، (٤) .

وعلى أية حال فلقد كانت مدرسة جنديسابور أحد الروافد التى استقى

(١) ف. بارقولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزه طاهر ص ٥٣ .

(٢) خودابخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٧ .

(٣) من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥ .

(٤) كويلر يونج : أثر الإسلام الثقافى على المسيحية : ص ٢٤٧ .

منها الحقل العربى علوم اليونان ودراساتهم ، ولقد تمثل أثرها (١) فيما قام به أفراد أسرة بختيشوع . كان هؤلاء يتمتعون بمكانة مرموقة لما كانوا عليه من قدرة ومهارة فى صناعة الطب مما قرب بينهم وبين الخلفاء ، فرفعوا شأنهم ، وبهذا تهيأت لهم الظروف ليسهموا بجهودهم فى نقل التراث اليونانى إلى العرب مما سنفصل الحديث عنه فى مكانه من هذا البحث .

(١) راجع بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ . د. الامبراطورية الإسلامية وانحلالها ص ٣٨ .

رابعاً - الرها

في الجزء الشمالى الغربى من إقليم ما بين النهرين كانت تقوم مملكة الرها ، وفي مكان يقع شرق الفرات قامت الرها عاصمتها .

يقول جويدى « واسمها القديم باليونانى « الروهة » ، وبه سميت عند العرب الرها ، وأما من قال إنها سميت باسم مستحدثها وهو الرها بن البلندا فوهم » (١) .

ولقد ظلت مملكة الرها مستقلة فترة امتدت بضعة قرون قبل الميلاد وبعده « من ١٣٢ ق.م إلى ٢٠٦ م » ، ويستدل من أسماء ملوكها « معن ووائل ، وأبجر » على أن الأسرة الحاكمة كانت عربية .

ولقد كانت الرها من « أهم مراكز اللغة السريانية » (٢) ، ولما دخلتها المسيحية في مستهل القرن الثانى اكتسبت هذه اللغة نفوذاً سما بها إلى أن ينقل إليها الكتاب المقدس ، وأن يتخذها المسيحيون لغة لهم ، وتصبح الوسيلة المعبرة عن الثقافة المسيحية .

يقول فيليب حقي « إن الترجمات الرئيسية للتوراة السريانية قد وضعت هناك في أواخر القرن الثانى » (٣) .

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٥٥

(٣) فيليب حقي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٣٧١

ولقد كانت بيئة الرها مسرحا لثقافة فائقة في العهد الوثني ، ولئن وقفت تعاليم المسيحية حائلا دون ظهورها لأنها لم تسيرها فان ما كشفت عنه الآثار يؤكد هذه الحقيقة . كذلك تشير بعض النصوص الأدبية إلى أن الحضارة الآرامية كانت مزدهرة خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ، فن خلال استعراضنا لقصة فيضان نهر ديسان (١) « ٢٠١ م » فنكتشف لنا معالم حضارة على قدر محمود من الرقي ، ولقد كان من الخسائر التي سببها هذا الفيضان المروع تصدع كنيسة المسيحيين التي وصفها المراجع (٢) العربية بالمعظمة والبهاء .

ولقد أقيح للسريان أن يتأثروا تأثرا ملبوسا بالثقافة اليونانية . يقول الدكتور مراد كامل « من المؤكد أن الأساليب اليونانية كانت ذات أثر فيما وصلت إليه اللغة السريانية ، فقد حاكى السريان الأبينية اليونانية في بعض كتاباتهم ، وقلدوهم في طريقة استعمال الكلمات ، بل إنهم نقلوا إلى لغتهم كثيرا من الكلمات اليونانية ، كما أسسوا علم النحو في لغتهم على غرار النحو اليوناني ، واتخذوا من الصوائت اليونانية حركات يستعملونها في كتاباتهم ، (٣) .

(١) انظر النص كاملا عند الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني

ص ٢٤ - ٢٦ .

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٣٤

— ابن خردادبه : المسالك والممالك ص ١٦١

— المسعودي : التنبيه والإشراف ص ١٢٤

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١٥

وبالرغم من أن تعلم اللغة كان مقصورا على أبناء الأغنياء إلا أن بعض الأدباء كانوا يوافقون بها ، ثم تنقل كتبهم إلى اللغة السريانية لكي يفهمها سائر الناس ، كذلك استعمل السريان في كتاباتهم كثيرا من المصطلحات اليونانية (١) .

ولقد كان هذا التأثير نتيجة طبيعية للعوامل التي مهدت له ، وأدت إلى نتائجها ، فلقد اختلط اليونان بالسريان اختلاطا كبيرا ، كذلك انتشرت الأديرة والمدارس التي احتضنت بالانشطاط العلمي الذي يتناول العلوم السريانية واليونانية على حد سواء .

ولقد قامت هذه الأديرة بدور العوامل الفعالة في تقوية النفوذ السرياني وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية ، فيترك عليها طابعه . فلقد استجذبت أفكار جديدة عرض لها الشعراء في قصائدهم ، من ذلك ما قاله (٢)

عدى بن زيد في دير علقمة :

نادمت في الدير بني علقمة ... مشمولة تحسبها عندما
كأن ريح المسك في كأسها ... إذا مزجناها بماء السما
من سره العيش ولذاته ... فليجعل الراح له سلسا
علقم ما بالك لم تأقنا ... أما اشتيت اليوم أن قنعا

وقد أتيحت الفرصة للغة العربية لكي تصبح لغة كتابة يسجل بها تاريخ هذه الأديرة .

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٦ .

(٢) انظر لويس شيخو : شعراء النصرانية ص ٤٧١ .

وجد في صدر هيكل دير هند الكبرى ما يلي : بنت هذه البيعة
هند بنت الحارس بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك ، وأم الملك
عمر بن المنذر أمة المسيح وأم عبده ، وابنة عبده في زمن ملك
الاملاك خسرو أنوشروان ، وفي زمن إفرائيم الأسقف فاليله الذي بنت
له هذا البيت يفخر خطبتها ، ويترحم عليها وعلى ولدها ، ويقبل بها
وبقومها إلى إبانة الحق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر
الداهر ، (١) .

كذلك وجد في صدر دير حنظلة أثر مكتوب بالرصا ص في ساج
محفور يقول : بنى هذا الهيكل المقدس محبة لولاية الحق والامانة حنظلة
ابن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياء
بالعضمة . يسكون ذكر الخاطيء حنظلة ، (٢) .

وهناك ملاحظ يجب أن نقتنبه له ، وهو أن بقايا اللغة الآرامية
كانت حتى ذلك الحين عالقة باللغة العربية ، ومن ذلك ما لوحظ في
الأثر الذي حمل اسم امرئ القيس بن عمرو وقاريخ وفاقه من اشتغال
كلماته على ألفاظ آرامية .

(١) البكري : معجم ما استعجم ص ٣٦٤

— ياقوت : معجم البلدان ٢ ص ٧٠٩

— أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ٢ ص ٢٠٩ .

— د إبانة ، وردت في الديارات للشابشتي د أمانة ، الذيل رقم ١٨
كور كيس عواد .

(٢) البكري : معجم ما استعجم ١ ص ٣٦١ .

ولقد اعترف كثير من الباحثين بالنشاط الثقافي الذي قامت به مدرسة الرها ، وأقروا جهودها في دراسة الفلسفة اليونانية بوجه خاص .

يقول الأب أ. س. مرمرجي الدومينيكي « إنها كانت مركزا علميا يتقاطر إليه المسيحيون الشرقيون من النواحي الفارسية » (١) .

ويقول ماكس فانتاجو « إنها كانت مركزا لمدرسة فلسفية لاهوتية » (٢) .

ويقول جرجي زيدان إنه في مدرسة الرها « ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس الميلادي » (٣) .

ويقول الدكتور حسن عون إن مدرسة الرها « بدأت مبكرة بالعناية بدراسة الفلسفة اليونانية وخصوصا فلسفة أرسطو ، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي » (٤) .

ولقد قامت مدرسة الرها على أكتاف أساتذة مدرسة نصيبين الذين هجروها سنة ٣٦٣ م بعد سقوطها في أيدي الفرس .

وكان القديس إفرام السرياني (توفي سنة ٤٧٥ م) أحد هؤلاء

(١) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٤٨ ص ٦٧٥ « معاهد العلم عند الرومان واليونان والسريان » .

(٢) المعجزة العربية : ص ٢٣ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٠ .

(٤) العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٤٣ .

الأساتذة ، وكان غزير المواد بليغ الكتابة ، تلوح العذوبة والجسودة
والقداسة في قصائده ، (١) ، فكان ذلك دافعا للناس لكي يحملوه على
معاودة التعليم ، فاضطلع بإدارة مدرسة الرها .

وهكذا كان هناك « استمرار بين هاتين المدرستين ، حتى أن
مدرسة الرها ربما اعتبرت بعثا لمدرسة نصيبين » (٢) .

ويقول أدى شير « إن مر إفرام قد انطلق إلى الرها حيث فتح
مدرسة لبني جلدته عوض مدرسة نصيبين » (٣) .

ويقول أيضا « ورافق مر إفرام إلى أورهاى جميع معلمى مدرسة
نصيبين وبعض أشرافها ، وفتحوا فيها مدرسة لبني جلدتهم عوض مدرسة
نصيبين » (٤) .

ولقد أمضى مر إفرام بقية حياته في الرها ، ولم يرحلها إلا لفترات ،
كان يعود بعدها ليواصل عمله في مدرستها .

ويرى أوليرى « أن هذه الفجوات التي تخللت السنوات التي أقامها
في الرها تجعل من الصعب علينا أن نعتبره منظما وموجها لمدرستها ،
ولأن كان يبدو أنه كان له سلطان على مجموعة من التلاميذ التفوا
حوله » (٥) .

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور. ص ٢٨

(٢) أوليرى : مسائل الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٧٢

(٣) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ٦

(٤) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ٢٧

(٥) O'Leary : How Greek science Passed to the Arabs P. 51.

وحين حدث الانشقاق النسطورى بعد مجمع (١) أفسوس سنة ٤٣١ م
وقفت مدرسة الزها إلى جانب نسطور (٢) وأخذت بتهاليمه .
ويبدو أن كل ما كان يعلم في تلك المدرسة كان موجها بحيث
يوافى حاجات الكنيسة ، (٣) .

وقرب على ذلك أن تضاعف الاهتمام بدراسة اللاهوت . ولاسيما
على عهد هيبا ، وقد دعت الضرورة إلى الاهتمام بدراسة المنطق ، ولعل
هيبا يعد المسئول الأول عن إدخال هذه الدراسات عند السريان ، وقد
ظلت منذ دخولها مقدمة لازمة للدراسات اللاهوتية في الثقافة النسطورية .

وحوالى سنة ٤٣٥ أصبح هيبا أسقفا على الزها ، فولى برصوما أمر
المدرسة . وحوالى سنة ٤٥٧ م خلف نونوس هيبا على كرسي الاسقفية ،

(١) حضر هذا المجمع مائتا أسقف ، وكان المقدم فيه قورلس بطريك
الاسكندرية ؛ وكلسطوس بطريك روميه ، وبولانيوس بطريك إيليا ، فلعنوا
نسطورس وتبرأوا منه ، ونفرو ، فسار إلى صعيد مصر ، فأقام ببلاذخيم والبلينا ،
ومات بقرية يقال لها سيفلح . المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٤٧ .

• أنظر أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ٢ ص ١٣٠ .

(٢) جلس نسطور على الكرسي القسطنطينى سنة ٤٢٨ م وما اشتهر به قوله :
إن فى المسيح طبيعتين وأقنومين بشخص واحد ، وإن لاهوت المسيح ليس الناسوت
وصار الناسوت هيكلا لللاهوت ومسكنه ، وأن مريم لا يجوز أن تدهى أم الله ،
بل أم المسيح الإله ، لم تلد اللاهوت ، بل ولدت شخصا هو إله وإنسان معا .

• أدى شير : تاريخ كلدو وآثور - ٢ ص ١٤٩ .

(٣) دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٨ .

ولم يكن نونوس فسطوريا ، فعادى النمطاره ، وظل الاساقفة من بعده على هذا العداء إلى أن استطاع الأسقف سيروس إغراء الإمبراطور زينون بخلق المدرسة ، وكانت حجة « أن معلمها كانوا فسطوريين في آرائهم » (١) .

وما أن أغلقت المدرسة حتى احتضن (٢) أكاسرة بني ساسان أساقفتها إذ التجأ بعضهم لمدينة جنديسابور ، وهناك وجدوا من عطف الأكاسرة ما شجعهم على بناء البيمارستانات وتعليم الطب ، فبلغوا في ذلك شأوا بعيدا .

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٦

(٢) انظر غرستاف لوبون : محاضرة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ٤٣٤

خامساً : نصيبين

عرفت مدينة نصيبين بعدة أسماء ، فتسمى صوبا (١) ، ويسمونها اليونان أنطاكية ميكدونيا . وكانت تحتل موقعا هاما في المنطقة التي ضمت إلى روما عام ٢٧٨ م ، وبذلك أصبحت إحدى مدن الحدود بين المملكتين الرومانية والفارسية . جعلها تدعى مدينة النخوم ، كما وصفت بأنها « ترس كل المدن المحصنة » ، ورئيسة ما بين النهرين ، ورئيسة المغرب وأم العلوم ، (٢) .

ولقد انتشرت المسيحية في نصيبين سنة ٣٠١ م تقريبا (٣) ، وكثرت فيها المدارس والكنائس والأديرة .

ومن أديرتها دير قني (١) أسسه مرمارى في المائة الأولى ، وأنشأ فيه مدرسة عرفت باسمه ، ومن أنشأ في الدير متى بن يونس . ومنها دير الزعفران (٥) ، ودير مرأوجي ، ودير مريوحنا .

وكان بابو أول أساقفتها ، ثم تولى كرسي الاسقفية من بعده

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ٥

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤١

(٣) Oleary : How Greek science passed to the Arabs p 47 .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٨٧

انظر الشاذلي : الديارات ذيل رقم ٢٠

(٥) الشاذلي : الديارات ص ١٢١ ، وانظر ذيل رقم ١٤ ، ١٥

لكور كيسي عواد .

مر يعقوب (١) سنة ٣٠٩ ، ولم يكن السكان كلهم مسيحيين ، وإنما كانت هناك كثرة من اليهود تعيش فيها ، وكان هؤلاء أكاديمية يهودية أنشأها يهودا بن باثيرة ، وقد تعرض هؤلاء لكثير من الإيذاء حين استولى الرومان على المدينة ، ويبدو أن ماقاسوه من اضطهاد كان ذا دخل في وضع نهاية لمدرستهم ، إذ أننا لا نجد لها ذكرا بعد ذلك .

وقد بنى مر يعقوب كنيسة فاخرة في نصيبين ، كما حضر مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م مع إفرام تلميذه ، ووقع على قراراته . وقد أورد (٢) أدنى شير ثبوتا مفصلا بكتبه .

وفي أعقاب هذا المؤتمر أسس إسطاثيوس (٣) أسقف أنطاكية مدرسة فيما تشبه مدرسة الإسكندرية ، وقد تبعه في ذلك البطريك يعقوب ، فأسس مدرسة مماثلة في نصيبين ، وكان هدفها الخاص هو نشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية لأن لاهوتهم ونظام كنائسهم كانا دون المستوى الذي تقبله الكنيسة الكاثوليكية ، ولقد وكل مر يعقوب أمر الإشراف على المدرسة إلى تلميذه مر إفرام الذي اختصه بعنايته ورعايته ، فبلغت على يديه حدا عظيما من الشهرة . ولقد عرف مر إفرام بمؤلفاته الأدبية (٤) وبخاصة الأشعار الصوفية التي تناول فيها كثيرا من المعاني الدينية ، والفلسفية .

(١) أدنى شير يحمل وفاته سنة ٣٢٨ م « مدرسة نصيبين » ص ٦ .

(٢) أدنى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤٢ .

(٣) O'Leary : How Greek science passed to the Arabs . P. 47.

(٤) راجع أدنى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة ص ٧ .

ولما انتصر الفرس على حملة جوليان سنة ٣٦٣ م ، وقعت نصيبين في أيديهم ، فأحسن شابور معاملة النصارى فيها ليجذبهم إليه ، ولكن يبدو أنهم ظلوا على ولائهم للرومان ، ولم يدينوا له بالولاء ، ولقد شامت الظروف أن يكفر يوليانوس ملك الروم في تلك الاثناء بالديانة المسيحية ، فيستاء لذلك نصارى نصيبين ، وبخاصة مر إفرام ، وقد دفعه ذلك إلى أن يؤلف (١) جملة قصائد يذم فيها يوليانوس ، ويشتم على شابور ، غير أن شابور كان قد حفظ له موقفه في الدفاع عن المدينة حين الاستيلاء عليها ، فظل على كراهيته له ، فخرج مهاجرا إلى الرها ، ويذهب أدى شير (٢) إلى أن مر إفرام عاش في نصيبين حتى سنة ٣٦٩ م ، ثم ذهب إلى الرها .

وكيفما كان الأمر ، فإن خروج مر إفرام من نصيبين وضع نقطة النهاية في حياة مدرستها .

مدرسة نصيبين الثانية

رأينا في الحديث عن مدرسة الرها أنه حين وقع الانشقاق النسطورى بعد مجمع أفيسوس سنة ٤٣١ م (٣) وقف أساقفتها إلى جانب نسطور ، فتعرضوا بذلك إلى كثير من الأذى والاضطهاد .

(١) راجع أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٩٥ .

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤٧ .

(٣) انظر المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٤٧ .

— وانظر أيضا أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٣٠ .

ولما تولى نوغوس كرسى الأسقفية فى الرها سنة ٤٥٧ م ضاعف من قسوته عليهم ، فهاجروا إلى بلاد الفرس .

ولقد كان برصوما مدير مدرسة الرها عن نالهم الاذى لانه كان زعيا نسطوريا عنيدا (١) ، فقصد نصيبين مع من هاجر اليها . وهناك قدمه الكاثوليك إلى البلاط الفارسى ، (٢) وأوضحوا للملك كيف عومل النساطرة فى الرها ، وأستأذنه فى أن يسمح لهم بأن يعيشوا فى حمايته .

ولما أعلن الإمبراطور زينون مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م لم يجد من كان فيها من العلماء والتلاميذ أمامهم إلا أرض فارس يقصدونها ، وقد استقر جماعة منهم وعلى رأسهم فرساي (٣) « قوفى ٥٠٧ م تقريبا ، فى نصيبين بعد أن استبقاهم برصوما ، وحجب إليهم العيش فيها ، وطلب منهم أن يفتتحوا مدرسة (٤) نسطورية يستضيئون بها عن مدرسة الرها (٥) .

(1) Oleary ; How Greek science passed to the Arabs P. 57.

(2) Oleary : Arabia before Muhammad P 134.

(٣) يرى هذا رأى أدى شير فى كتابه مدرسة نصيبين ص ١١ وفى تاريخ كدو وآثور ج ٢ ص ١٣٨ .

— غير أن أوليرى يذهب إلى أنه هاجر إلى نصيبين مع برصوما .

— ويتفق معه فى ذلك الدكتور مراد كامل فى « تاريخ الادب السريانى »

ص ١١٩ .

(٤) أدى شير مدرسة نصيبين ص ١١ .

(٥) أدى شير ؛ تاريخ كدو وآثور ج ٢ ص ١٣٨ .

وهكذا بعثت مدرسة الرها من جديد ، وأخذت تعمل على نشر التعاليم
النسطورية في الجو الفارسي .

ولقد قام برصوما بجهد كبير في الفترة التي بين (٤٥٧ - ٤٨٤ م)
ليحقق ذلك . يقول المسعودي (إن مقالة نسطورس كانت درست ،
فأحيوها برصوما مطران نصيبين ، ودعا إليها المشاركة من النصارى ،
فدأبوا بها . (١))

ولقد وكل برصوما مهمة الإشراف على المدرسة لرساى الذى كان
ذا أثر ملحوظ في كثير من تلاميذه . يقول عنه أ . س . مرمجى
الدومينيكي « لأنه كان عالما كبيرا ومعلما جليلا » (٢) . ويبدو أن شهرة
رساى لم تنحصر في نطاق مهنة التدريس ، وإنما تعدت ذلك إلى مجال
الآداب والفن . يقول الدكتور مراد كامل « إن أصحاب رساى من
النساطرة الذين قد ذوقوا شعره ، وأعجبوا به ، كانوا يلقبونه قيثارة روح
القدس » (٣) .

وقد ولى أمر المدرسة اليشعاع برقوزباى بعد رساى ، وكان ممن
هاجروا من الرها أيضا ، وقد ظل يشرف عليها مدة سبع سنوات ،
وكان نشاطه الأدبي متعدد النواحي ، يقول أدى شير « لأنه وضع
تأليفات شتى ، وكتب ضد المجوس ، وضد المراطقة ، وفسر كل الكتاب

(١) المسعودي : التقييه والإشراف ص ١٢٩

(٢) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٤٨ معاهد العلم عند الرومان واليونان

والسريان ص ٦٧٧

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الآداب السرياني ص ١١٧

المقدس ، (١).

ثم خلفه إبراهيم ويقال إنه د زاد في مبنى المدرسة ، أما عن أعماله الأدبية ، فله شروح على بعض أسفار العهد القديم ، وأجوبة في الرد على بعض المسائل اللاهوتية ، (٢) . وجاء من بعده يشوع يب ، وكانت مدة إدارته للمدرسة من د ٥٦٩ م إلى ٥٧١ م ، (٣) . ثم حنا الحذيتي ، وقد بقي لنا من كتاباته لوئح مدرسة نصيبين التي وضعها ٥٩٠ م (٤) ، وقد حاول أن يعلم الطلاب صورة معدلة من المذهب النسطوري (٥) ، فأحدث بذلك إنقساماً بين معلمى المدرسة ، وساءت أحوالها .

ويرجع النجاح الذى حققته مدرسة نصيبين إلى النظام الحسن الذى سارت عليه ، فلقد نظم لها برصوما لائحة لمواد الدروس يجرى عليها المعلمون والتلاميذ . (٦) كذلك كان لها قوانين تضبط حياة التلاميذ فيها ، فنجدهم قد التزموا بيمين على العزوبة ، والإقامة الدائمة ، ومراعاة القوانين والاجتهاد وهذه الأيمان الرهبانية فرضت عليهم مدة إقامتهم فى المدرسة فحسب . (٧)

-
- (١) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ١٤
 - (٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٥٣
 - (٣) المرجع السابق ص ١٥٨
 - (٤) المرجع السابق ص ١٥٩
 - (٥) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٨
 - (٦) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ١٣٨
 - (٧) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٨

وكانت قوائم المدرسة تسمى التلاميذ إخوة ، وكان عليهم أن يسيروا سيرة صالحة لا عيب فيها ، وكان لهم زى خاص ، وكل من كان ينقطع عن الدروس والكتابة ، ولا يحضر ساعة التدريس والألحان الطقسية ، كان يوبخ توبيخا شديدا . (١)

وكان رئيس المدرسة يسمى الربان ، وقد كان هذا أيضا لقب الملافنة أو المعلمين أو الدكاترة ، وكان بنوع خاص لقب المفسر للكتاب المقدسة ، (٢) ولم يكن يقوم بهذا العمل أحد سوى الرئيس : لذلك كان يسمى المفسر أيضا .

وكان من وظيفة الرئيس أن يتسلم دخل المدرسة ، وينفق عليها ، ولم يكن ينتخب لهذا المنصب إلا من كان مستقيا ، مقتدرا على إدارة أمور المدرسة ، منصفًا بين الإخوة بدون محاباة . (٣)

ثم يأتي بعد الرئيس المقرئ والمهجى ، وكان المقرئ يعلم صناعة النحو ، بينما كان المهجى يعلم التهجئة والقراءة الفصيحة للمبتدئين ، ثم يلي هؤلاء الكاتب ، وكان يعلم التلاميذ الخط .

ولقد تلاقى في نصيبين الثقافتان اليونانية والسريانية ، وتعاونتا معا في شرح التعاليم المسيحية ، وصبغها بلون خاص ، ذلك لأن الثقافة التي

(١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣١

(٢) أ. س. مرمجى الدومينيكي : معاهد العلم عند الرومان والبيصونان والسريان مجلة الكتاب عدد ديسمبر ١٩٤٨ ص ٦٧٧

(٣) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ٥٥

انتقلت من الرها على أيدي برصوما ومن تبعه من أهلها ، كانت مكونة (١) في معظمها من أعمال أرسطو في المنطق مع كتاب إيساغوجي لفوزفوريوس ، وقد بقي هذا المنطق دائما مقدمة ضرورية للدراسات اللاهوتية في كل التربية الذسطورية . ولم يقف الأمر عند حد هذه المعارف ، وإنما حمل هؤلاء الأساتذة معهم طب اليونان والثقافة المسيحية ، ولعل هذا هو ما حمل بعض الباحثين من المحدثين إلى القول بأنه في نصيبين كانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية . (٢)

ولكن يبدو أن العناية كلها كانت موجهة إلى خدمة اللاهوت المسيحي فقط تحقيقا للقرض الذي قامت المدرسة من أجله .

ولعل مما يشير إلى ذلك أن نظم المدرسة في عام ٥٩٠ كانت تقضي بالألا تقرأ الكتب المقدسة مع الكتب التي تعالج أمور الدنيا في مكان واحد (٣) .

ولقد ظلت المدرسة قائمة حتى أيام الفتح الإسلامي ، ولكن يبدو أنها لم يكن لها أي تأثير مباشر في العرب ، وربما كان ذلك لأنها كانت لاهوتية محضة ، ولو أنها كانت مسئولة بطريق غير مباشر عن تعريف المدارس الذسطورية الأخرى في جنديسابور وسيلوقيا بمنطق أرسطو ، أما الأثر الذي لحق العرب فقد جاءهم بصفة رئيسية عبر جنديسابور كما سنرى .

(١) Olesry : How Greek science passed to the Arabs. P.61.

(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ٣١

(٣) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٨٩

البَابُ الثَّالِثُ

جهود السريان في الحضارة العربية
قبل الإسلام

جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام

لم يعط العرب تاريخهم في الجاهلية الأهمية التي يستحقها ، وقد تكون (١) علة ذلك أنهم حين أسلموا أرادوا أن يحسوا مفاخر الجاهلية ليقوموا مجد الإسلام مكانها ، وأن اعتمادهم على المشافهة في نقل الاخبار ، وتأخر عصر التدوين قد فتح كثيرا من الثغرات للتزويد في الاخبار ، كذلك كان للتراث الثقافي الذي دخل البيئة الإسلامية مع من أسلم من اليهود والمجوس أثره في إشاعة المبالغات في أخبار العرب قبل الإسلام .

ولقد تنبه المؤرخون إلى هذا الأمر . هذا ابن خلدون يقول « كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وقاهوا في بيداء الوهم والغلط » (٢) .

ويستطرد ابن خلدون فيضرب الأمثلة التي تؤيد هذه الدعوى ، ثم يعقب على من زعم أن التبابعة ملوك اليمن كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب بقوله « إن هذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريضة في الوهم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة » (٣) .

(١) انظر جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٩ ، ١٠ ط مصطفى محمد .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإنه في وسعنا أن نتعرف على مدى الأثر السرياني في الجوانب الحضارية من حياة العرب قبل الإسلام .

في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد قامت دولة الأنباط العربية ، (١) وامتدت من « خليج العقبة إلى دمشق » ، (٢) ، وشملت معظم شمالي جزيرة العرب ، وكانت عاصمتها سلع أو البتراء .

ولقد كان العرب في البتراء « يستعملون الآرامية في الكتابة مع أنهم كانوا يتكلمون العربية » ، (٣) . يقول بروكلمان « إن الكتابات المختلفة التي نقشت على قبور سلع تدل على أن الأنباط قد اصطنعوا في هذه النقوش اللغة الآرامية التي كانت لغتهم الرسمية حتى في ظل الأخمينيين » ، (٤) .

ويرجع جويدي هذا الأمر إلى أن « الأحرف الهجائية لم تكن قد

(١) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٨ — اقرن ذلك بما أورده المسعودي في التنبيه والإشراف ص ٦٨ ، ١٥٠ ،

١٥٦ ، ١٦٨ .

— واقرنه بما ذكره البيروني في الآثار الباقية ص ٥٩

— وراجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٣٥

(٢) Oleary, Arabia before Muhammad P. 82

(٣) Oleary : Arabia before Muhammad P. 137

— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٤

— انظر ايضا خليل يحيى نامى : أصول الخط العربي ص ٧

(٤) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ٢٠

استنبطت بعد عند العرب ، (١) فلما ظهرت الحاجة إلى الكتابة عند عرب الشمال ، كان من الطبيعي إذن أن يأخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها الأنباط ، (٢) .

ولقد ذكر خليل يحيى نامى أن الكتابة العربية هي عبارة عن تطور الكتابة النبطية ، وأنها تحمل نفس مميزات وسماتها . (٣) .

ولقد ظلت دولة الأنباط قائمة حتى د قنخى عليها الإمبراطور الرومان تراجان سنة ١٠٦ ميلادية ، وأقام مكانها لإقليم رومانيا عربيا ، (٤) .

وفي تدمر نجد أن موقعها في أطراف البادية التي تفصل الشام عن العراق مكنها من أن تعمل في التجارة ، وتربح أموالا طائلة . وكانت

(١) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٨

— راجع الدكتور فيليب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١

ص ٤٢٧

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٨٣

— انظر خليل يحيى نامى : أصل الخط العربي من ص ٢٥ - ٨٨

— انظر أيضا الدكتور حسن أحمد محمود : حضارة مصر والشرق القديم

ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

— اقرن ذلك بما ذكره المسعودي من أن عبد ضخم بن ارم بن سام بن

نوح وولده أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم وهي حروف أ ،

ب ، ت ، ث ، وهي التسعة والعشرون حرفا .

(٣) خليل يحيى نامى : أصل الخط العربي ص ١٠١ .

(٤) O'Leary : Arabia before Muhammad .P 82.

صنائع اليونان وفنونهم قد دخلت أبواب تدمر « وشيد فيها من الهياكل والمنازل والملاعب والقبور ما يستدعى العجب العجيب ، ومع ذلك لم تزل تدمر تحفظ سنتها الوطنية ، وعوائدها الخصوصية ، وبقيت آدابها ولغتها آرامية ، (١) ولكن على الرغم من أن هؤلاء الآراميين المتأثرين بالحضارة الإغريقية كانوا يؤلفون أغلبية السكان في تدمر إلا أن السيادة فيها كانت للعرب ، (٢) لذا فإن ما ارتقت إليه تدمر « يبين ذرى الثقافة التي يستطيع العرب من أهل البادية أن يبلغوها إذا ما تسنت لهم الميقات ، (٣) ولم تنحصر فعاليتها السريان في الحضارة النبطية والتدمرية فقط ، وإنما اتضحت آثارهم بشكل ملموس في - حضارة الفسامة والمناذرة ، وقد خرج هؤلاء العرب من اليمن (٤) ، وشامت لهم الظروف أن يستقروا

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ١٧٥ .

— انظر جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام من ص ٩٨ إلى ١٠٥ .

(٢) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ٢١ .

(٣) الدكتور أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ١ ص ٤٠ .

(٤) انظر في أصل موطنهم ، وتفصيل خروجهم ، واندفاعهم في اختيار الأماكن التي توافق قدراتهم وأمزجتهم .

— ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ١٣ ، ١٤ .

— المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٣٤٦ .

— اليعقوبي : ج ١ ص ٢٣٦ .

— أبو الفداء : ج ١ ص ٧٢ - ٧٦ .

— الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٦٨ ، ٦٩ .

— الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٤١ .

حيث أقاموا ، ويكاد المؤرخون يتفقون على أن الفسائيين ينسبون إلى
ماء غسان (١) ، ولكنهم يختلفون في تحديد مكانه ، فيرى بعضهم أنه
باليمن (٢) بينما يرى الآخرون أنه بالشام (٣) .

وقد ظلت دولة الفساسنة مدة أربعمئة سنة تقريبا منذ القرن الثالث
الميلادى حتى ظهور الإسلام (١) .

ولقد كانت عاصمة الفساسنة بصرى (٥) ، وأتاح لهم موقع إمارتهم
أن يكونوا ورثة للحضارات التى شهدت منطقة الشام ، كما قدر لهم

(١) انظر المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٧

— الفلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٩

— الحمداي : صفة جزيرة العرب ص ٧١

— المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ١٤٧

— محمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ٦١

(٣) أبو الفدا : ج ١ ص ٧٦

— الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٤١

— الدكتور أحمد الخوفى : الحياة العربية فى الشعر الجاهلى ص ٧٧

(٤) راجع فى ذلك تاريخ أبى الفدا ج ١ ص ٧٦ ، وقارنه بما جاء فى العقد

الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٨٨ ، والعرب قبل الإسلام لمرجى زيدان

ص ٢٠٨ — ٢١١

(٥) أحيانا يفهم من قول الشعراء أن جولان أو الجاييه عاصمتهم ، وأحيانا

يذكرون جلق بالقرب من دمشق على أنها هى العاصمة . أحمد أمين فجر

—

الإسلام ص ٢١ ، ٢٢

أن يتلقوا تأثير السريان عن قرب ، إذ نقل إليهم اليماقة (١) الثقافة اليونانية ، وفشروها بينهم . ولقد بنى ملكهم جفنة بن عمرو بالشام هذه مصانع ، كما بنى ابنه عمرو بن جفنة عدة أديرة ، منها دير حالى ، ودير أيوب ، كذلك شيدوا القصور والقلاع (٢) ، كما كثرت لديهم البيع والكنائس (٣) .

والواقع ، أن الفساسة قد نقلوا كأسلافهم الانبساط بعض عناصر أساسية في الحضارة السورية إلى أقربائهم الأصليين في الجزيرة العربية ، وخاصة الحجاز مهد الإسلام في المستقبل ولقد نقلوا أيضا بعض الأفكار المسيحية التي كان لها تأثيرها مع بعض أفكار أخرى على الإسلام ، وهذا كذا زودت الحضارة السورية الإسلام ببعض العناصر المبدعة (٤) .

ولقد اصطنع الفرس إمارة الحيرة ليكفوا بها من يليها من برادى العرب (٥) ، وليستعينوا بأبنائها على

== يذكر فيليب حتى أن بصرى كانت العاصمة الدينية ، أما العاصمة السياسية فكانت الجابية في منطقة الجولان . كما كانت أيضا بعض الزمن في جلق .

د تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٤٤٨ ، ٤٤٩

(١) راجع في ذلك الأستاذ حامد عبد القادر : الإسلام — ظهوره

وانتشاره في العالم — ص ٥٦ .

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٤ ص ٩٥

(٣) الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٤٥ .

(٤) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٢٥

(٥) المسعودى : القتيبة والإشراف ص ١٥٨ .

— انظر شاهدا على ذلك في قصة تولية النعمان بن المنذر . الاغانى ج ٢ ص ٢٢

==

— انظر تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٤٢

حراسة (١) قوافلهم التجارية التي كانت تتغلغل في الجزيرة العربية ،
ولاسيما إلى سوق عكاظ .

ولفظ الحيرة (٢) سرياني معناه الحصن أو المعقل حول الحندق .
وكان قيامها سنة ٢٤١ م (٣) . وقد سكنتها ثلاث طوائف ، هي تنوخ
والعباد والاحلاف ، وكانت المسيحية قد انتشرت في الحيرة منذ
الآجيال (٤) الأولى ، واعتنقها العباديون (٥) وهم قبائل شقي من بطون
العرب .

ويبدو أن العنصر العربي في الحيرة كان يمثل « الارستقراطية
الحاكمة » ، أما جملة الاهلين فقد كانت من الآراميين السريانيين الذين
كانوا مسيحيين من قبل ، ويبدو أن هؤلاء العرب الذين تقبلوا المسيحية

-
- == - الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٣٤
- جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٩٠
(١) الدكتور أحمد الخوفي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٥٠
(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٣
- اقرن ذلك بما جاء في معجم ما استعجم ص ٣٠٢ ، وفي مختصر كتاب البلدان
ص ١٨١ حيث يذهب ابن الفقيه إلى أن « قباها لما سار إلى موضع الحيرة أخطأ
الطريق ، وتغير هو وأصحابه ، فسميت الحيرة » .
(٣) الطبري : ج ٢ ص ٣٧
(٤) انظر أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢٠٧ تجد ثبوتا بأسماء
بعض أساقفتها الأوائل .
(٥) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢١٩
- جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

اعتنقوا المذهب النسطورى (١) .

ولقد دافع الفرس عن النسطرة ، ومددوا لها يد المساعدة بما أمدها
بمزيد من القوة .

يقول أوليرى (٢) : إن النسطرة كانوا فى جنوب العراق بالقرب
من الحيرة أقوىاء بوجه خاص ، وعندما جاء الفتح الإسلامى كانت
الحيرة كلها على وجه التقريب مسيحية نسطورية ، ولم تكن ثمة ترجمة
عربية للكتاب المقدس ، أو للطقوس الكنائسية قد وضعت لأن اللغة
العربية لم تكن قد أصبحت بعد لغة كتابة وأدب ، ولقد استعملت
الآرامية المسيحية التى عرفت بالسريانية فى الأغراض الكليريكية ، وقد
حدث هذا تماما عندما استعمل عرب البتراء الآرامية فى الكتابة مع
أنهم كانوا يتكلمون العربية ، ولقد ترتب على هذا أن عرب الحيرة
كانوا يستعملون لغتين ، وأنه قد وصل إليهم قدر عظيم من العلم والفلسفة
واللاهوت الحلينى عبر اللغة السريانية .

ويعضى أوليرى فى بيان نتائج سيادة اللغة السريانية بين عرب
الحيرة فيقول : لما أراد القرآن استعمال كلمات جديدة عند الحديث عن

(١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية إلى العرب ص ٩٩

— راجع بروكلمان (ولقد اعتنى أقباع اللخمين المذهب النسطورى
المسيحى فترة من الزمان فى حين تعلقوا هم أنفسهم تعلقا شديدا بمتقاداتهم
الوثنية ، فلم يخرج عليها أحد منهم غير النعمان الثالث (٥٨٠ — ٦٠٢ م)
الذى اعتنق النصرانية ظاهرا على الأقل ، العرب والامبراطورية العربية ص ٢٤
(٢) انظر أيضا : جاء مدعيه القائد : الإيلام ظهوره وانتشاره فى العالم ص ٥٢، ٥٣

الأفكار اللاهوتية والفلسفية التي لم تكن معروفة في اللغة العربية ، غالبا ما استعمل كلمات مستعارة من الآرامية ، وفي وسعنا أن نفترض أن مثل هذه الكلمات قد دخلت القاموس العربي من وسط الحيرة وعلى أيدي المعلمين النسطوريين ، (١)

والحق أن اللغة العربية حتى عهد امرئ القيس بن عمرو في أوائل القرن الرابع الميلادي لم تكن قد تخلصت بما علق بها من بقايا اللغة الآرامية ، والدليل على ذلك ما لوحظ في الأثر الذي حمل اسمه وتاريخ وقاته ، إذ عثر بين كلماته على ألفاظ آرامية .

ولقد قامت في الحيرة بيع كثيرة وأديرة (٢) ، من ذلك دير هند (٣) الكبير الذي يعرف بدير هند الأرقم ، ودير هند الصغرى ، ودير علقمة (٤) ، ودير حنظلة بن عبد المسيح ، ودير مارة مريم ، ودير

(1) Oleary, Arabia before Muhammad P.136

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٧

(٣) انظر البكري : معجم ما استعجم ٣٦٤

— معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠٩

— أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢٠٩

— الذيل رقم ١٠ لكوركيس هواد في كتاب الديارات للشابشي

— من دفن في هذا الدير يشوع يب رئيس مدرسة نصيبين (٥٦٩ — ٥٧١م)

الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١٥٨

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٨١

— البكري : معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٦١

— ابن فضل الله العمري : ميسالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٧

قرة ، ودير ابن مزعوق ، ودير بنى مرينا ، ودير اللج .
ويهمنا هنا أن نذكر أن هذه البيع والأديرة قامت بدور العوامل
الفعالة في تقوية النفوذ السرياني وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية فيترك
عليها طابعه .

لقد مهدت السميل أمام اللغة العربية لكي تصبح خالصة ، وتصلح
لأن تكون لغة كتابة ، ذلك لأن الذين بنوا هذه الأديرة سجلوا
تاريخها بهذه اللغة .

وجد في صدر هيكل دير هند الكبرى « زوجة المنذر بن امرئ
القيس بن ماء السماء » ٥١٥ - ٥٦٣ م ، أثر يقول « بنت هذه البيعة
هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر ، الملكة بنت الأملاك ، وأم الملك
عمرو بن المنذر ، أمة المسيح ، وأم عبده ، وابنة عبده ، في زمن ملك
الأملاك خسرو أنوشروان وفي زمن إفرائيم الأسقف ، فالإله الذي
بنت له هذا البيت ، يغفر خطيئتها ، ويترحم عليها وعلى ولدها ، ويقبل
بها ويقومها إلى إبانة الحق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر
الداهر » (١) .

ووجد في صدر دير حنظلة أثر آخر مكتوب بالرصاص في ساج
محفور يقول « بنى هذا الهيكل المقدس محبة لولاية الحق والأمانة حنظلة

(١) البكري : معجم ما استعجم ص ٢٦٤

— ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠٩

— وردت في الديارات وأمانة . انظر الذيل رقم ١٨ كور كيس عواد في

كتاب الديارات للشايشي

— انظر أدبي شير : تاريخ كدير وآثاره ج ٢ ص ٢٠٩

ابن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياء
بالعصمة يكون ذكر الخطأ حنظلة (١) .

ولقد ساعد شيوخ التدوين في الحيرة على وضوح تاريخهم يقول

(١) البكري : معجم ما استعجم ج١ ص ٣٦١

— يدين العرب للحيرة بمعرفة فنها في الكتابة ، ذلك الفن الذي انتقل من الحيرة
والأنبار إلى الحجاز بعد قرن ، بعد أن أنشأ الخليفة عمر مدينة الكوفة وأطلق
اسم الكوفة على هذا الفن . خودا بخش . الحضارة الإسلامية ص ١٤٨ .

— اقرن ذلك بقول إقليدس يوسف داود « إن الزمان الذي فيه بدأ العرب
أن يكتبوا لم يعلم بتأكيد ، ولكن الكتابات الكثيرة المنقوشة على الأحجار التي
وجدت في بلاط حران والنواحي الشمالية من جزيرة العرب اللواتي أهاليهن جميعا
كانوا عربا ، والتي هي مكتوبة باللسان السرياني والقلم السرياني ، وذلك منذ نحو
القرن الأول بعد المسيح إلى نحو القرن الخامس بعده ، تشهد لما أن العرب
الأوائل لم يكونوا يكتبون بلغتهم العربية الآرامية التي كانوا يريدون بقاءها لكن
باللغة السريانية ، اللعنة الشهية في نحو اللغة السريانية ص ١٤٤ ، ١٤٥

— راجع قول ف بار تولد « هناك كتب بقيت من القرن السادس تدل على
أن اللغة العربية أيضا استعملت لغة الكنيسة ، ولكن لم يثبت إلى الآن وجود
أدب نصراني عربي في العصر الذي قبل الإسلام ، « تاريخ الحضارة
الإسلامية ، ص ٤٢

— يرى خليل يحيى نامى أن تطور الخط النبطي وانتقاله إلى الكتابة العربية لم يتم
في الحيرة لأن الحيرة كانت قبل الإسلام مثقفة بالثقافة السريانية لأنها كانت تدين
بأنصارية ، وكان الخط السرياني هو الخط الرسمي في تلك الأنحاء لأنه كان ترجمان
المسيحيين وقلمهم الديني في ذلك الزمان ، أصل الخط العربي ص ١٠٢ ، ١٠٣

الطبرى (١) : « وكان أمر آل نصر بن ربيعة ، ومن كان من ولادة ملوك
الفرس وعملهم على ثغر العرب الذين هم ببداية العراق عند أهل الحيرة
منبعها لما كان مشتبها عندهم في كنائسهم وأشعارهم ، وقد حدثت عن
هشام بن محمد الكلبي أنه قال : لاني كنت استخرج أخبار العرب ، وأنساب
آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم آل كسرى ، وتاريخ
سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها » .

ويقول بروكلمان (٢) : « وكان محمد بن السائب يعني عنفاية خاصة
بأنساب القبائل العربية . وقد حاول أن يحدد سني حكم اللخمييين
في الحيرة من النقوش التي على قبورهم ، والتي كانت لاتزال مصونة
لعمده » .

ومن الباحثين (٣) من لا يسلم بما يذكره الطبرى ، ووجهه أن رواية
ابن الكلبي لا يعتمد عليها لأنه متهم فيما يرويّه .

ولقد كان النفوذ الذي تمتع به أهل الحيرة بين العرب دوره في
التمهيد للتأثير المصطوري ، ويصور لنا الجاحظ هذا النفوذ في قوله (٤)
« جاء الإسلام ، وملوك العرب رجلا ، غسانى ولخنى ، وهما نصرانيان ،
رقدت العرب قدينا لهما ، وتؤدى الإتاوة إليهما » .

(١) الطبرى : ٢٨ ص ٣٧

(٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ٢٨ الإمبراطورية الإسلامية
وانحلالها ص ٢٩

(٣) الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربى ص ١٦

(٤) الجاحظ : المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٥

ويذكر أوليرى أننا إذا ما سلطنا بأن (١) « هرب الحيرة كانوا من صميم العرب ، وليسوا مجرد فرع منهم ، وأنهم في القرن السادس قد تمت لهم السيادة الاسمية عليهم جميعا ، فإننا نستطيع أن نقول إن التأثير (٢) النسطورى قد نفذ إلى العرب كلهم ، هذا فضلا عن أن الإرساليات النسطورية قد تغلغلت في الجزيرة العربية ، كذلك كان هناك طريق تجارى ربط الحيرة بنجران ، وقد أكد ابن هشام (٣) أن كنيسة نجران المسيحية أسسها سوري يسمى فيمميون ، ولعله كان أحد المبشرين النسطوريين سلك هذا الطريق التجارى إلى جنوب الجزيرة العربية » .

وعلى هذا فإن في وسعنا أن « نعتبر نجران مستعمرة منزلة للكنيسة السورية (٤) » .

(1) Oleary : Arabia before Muhammad P. 137.

(٢) راجع قول الجاحظ « وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها . » المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٥

(٣) يقول ابن هشام « كان أهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ... فقال لهم فيمميون ، إنما أنتم في باطل ... ثم دعا الله عليها ... فجعلتها من أصنامها فألقتهما ، فاقبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فعملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ، السيرة النبوية » ص ٣٢ ، ٣٤ .

— انظر ابن خلدون : ديوان العرب ص ٥٩ .

— انظر الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ص ٧٦ .

(4) Oleary : Arabia before Muhammad P. 143

وقد أُرذَى مسيحيو نجران . واضطهدهم (١) ذو نواس الذي كان قد
 تهود سنة ٥٣٤ ميلادية ، فاستعانوا بقيصر الروم (٢) ، فكتب إلى ملك
 الحبشة يأمره بنصرهم ، فاستولى هذا على اليمن ، وقوى الأمر فيها لمبرهة ، وبني
 القليس (٣) وهي كنيسة ضخمة د ليصرف إليها حج العرب ، (٤) غير
 أن هذه الكنيسة لم تأخذ ما كان يرجى لها من مكانة في نفوس العرب (٥)
 ولقد كان الأقباش مسيحيين على المذهب اليعقوبي ، ويقبسون
 الإسكندرية ، ولذا د يبدو مؤكدا أن مسيحية نجران كانت أيضا
 يعقوبية ، ولكونها جاءت في بداية الأمر من الحيرة ، فيجب أن تتوقع
 هنا مسطورية أيضا بالمثل .

-
- (١) انظر قول الله تعالى وقتل أصحاب الأخدود... سورة البروج : الآية ٤
 (٢) ابن هشام : السيرة النبوية ١ ص ٣٨ .
 — انظر الدينوري : الأخبار الطوال ص ٦٣ .
 — انظر ابن خلدون : ديوان العرب ٢ ص ٦٠ .
 (٣) انظر وصفها عند أبي الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٠ ص ١٣٥
 — البكري : معجم ما استعجم ١ ص ٣٦٧
 — ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ ص ٣٥٩
 — راجع قصيدة الأعشى رقم ٢٢ ص ١٧٣ من ديوان الأعشى شرح الدكتور
 محمد حسين .

- (٤) ابن هشام : السيرة النبوية ١ ص ٤٤
 — انظر ابن الأثير : الكامل ١ ص ١٧٨
 — انظر الطبراني : صفة جزيرة العرب ص ١٢٧
 (٥) راجع ما يذكره الدينوري في هذا الصدد : الأخبار الطوال ص ٩٤
 — انظر ابن خلدون : ديوان العرب ٢ ص ٦١

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه « كان الحير لغة تختلف عن لغة سائر العرب في إصطلاحاتها وأكثر ألفاظها ، ولا سيما كتاباتها ، فإن خطهم كان يعرف بالقلم المسند ، وهو مخصوص بهم ، وكانت أقرب لغة عربية إلى السريانية على ما يظهر من آثار كتاباتهم بالمسند (١) .

ولقد انتقل الخط الحيرى إلى الحيرة ، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقریش ، يقول ابن خلدون فيما تحدث به عن الكتابة « إن القول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ، ولقنتها الحيرة من التبابعة وحير هو الالئق من الأقوال » . (٢) .

ولقد كان من الطبيعي أن تتلون الحياة الفكرية في هذه البعثات التي غلب عليها النفوذ السرياني باون خاص ، لذا ليس غريبا أن نجد آثارا للتعالم المسيحية في الفكر العربى بخاصة فيما يتصلام مع ما كانت عليه العقلية العربية .

يقول ابن عبيد ربه (٣) « إن العرب ما كان لها قط نتيجة في صناعة ، ولا أثر في فلسفة إلا ما كان من الشعر ،

ويقول حاجى خليفة (٤) « وعلمهم الذى كانوا يفتخرون به علم لسانهم ،

(١) دائرة معارف البستانى : المجلد السابع : مادة حير ص ٣٤٣

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٨٤

— ناقش خليل يحيى ناعى هذا الرأى بإفاضة في مجلة كلية الآداب : الجامعة

المصرية الجزء الأول سنة ١٩٣٥ ص ٣ ، ٤

(٣) ابن عبيد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٥

(٤) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٢

ونظم الأشعار ، وتأليف الخطب ، وعلم الأخبار ، ومعرفة السير ،
وإذا كانت هذه هي مبلغ ثقافات العرب قبل الإسلام ، فإن التأثير
المسيحي الذي حمّله السريان معهم يتضح في شعر الشعراء ، ومواعظ
الرهبان ، وفي الدور الذي مهد السبيل أمام الدعوة الإسلامية .

وقد ذكر نيكلسون الدور الذي قامت به هذه الأديان في التمهيد
للإسلام ، فعرض تأثير الأديان التي تلاقحت في الجزيرة العربية ، والتي
ترجع أصولها إلى كتب سماوية في الشعراء أمثال زهير الذي عرض للكلام
عن اليوم الآخر والحساب ، والذي ركز المسؤولية فيه حول الفرد
لا القبيلة على عكس ما كان مقررا بين العرب ، وشائعا بين قبائلهم ،
ثم قال (١) : « إن هذا كله يساعدنا على أن ننهي إلى هذه النتيجة ، وهي
أن الدين والحضارة في أثناء القرن السادس الميلادي ، كانا يحدثان
أثرهما في الجزيرة العربية تاركين ما كان عليه عامة العرب الأوائل ،
وممهدين الطريق لظهور الإسلام » .

ويرى بروكلمان أن من العرب من اعتقد قبل الإسلام « بإله هو
خالق السكون ، هذا الإله هو « الله » الذي لم ينقل العرب فكرته عن
اليهود والنصارى كما يظن كثير من الباحثين (٢) » .

(١) Nicholson : A literary History of the Arabs P. 140
London 1907.

(٢) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية : تاريخ الشعوب الإسلامية

ولقد كان هؤلاء مجموعة مستنيرة، جرت على دين إبراهيم وإسماعيل
عليهما السلام .

يقول الألوسي « إن الموحدين هم من استبصر ببصيرته ، فاعترف
بوجود الله وقوسيده ، ولم يدرك دعوة محمد (ص) ، بل بقي في الجهل الأصل
فطرته ، ونظر بعين بصيرته ، فلم يغير ولم يبدل ، وهم الباقيا من كان
على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، (١) .

والواقع أن العرب كانوا على دين إبراهيم ، ثم غير عمرو بن لحي (٢)

== ليقول الله سورة لقمان: الآية ٢٥ .

— « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم »
سورة الزخرف : الآية ٩ .

— وقد أكد العرب أيمانهم بالخالق بالله : راجع المفضليات ص ٦٩ ،
٧٣ ط . السندوني .

(١) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص ١٩٦

(٢) انظر تاريخ أبي الفدا ص ٨٨

— راجع قول الرسول (ص) في شأنه « أول من بحر البهيرة ... ابن الكلبي
الأصنام ص ٥٨

— اقرن هذا الرأي بقول ابن الكلبي « كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل
معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، وصباغة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه ،
وظافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها . وصباغة بالحرم ، وجبا له ...
ثم سلبخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، فاستبدلوا
بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، الأصنام ص ٦

هذا الدين وبطله ، ويعلمهم على عبادة الأصنام التي جعلها (١) من الشام ،
والتي صنعها لهم (٢) .

ولقد حدث ذلك قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة (٣) في أيام سابور
ابن أردشير ، ولا ريب أن ذلك كله يدل على أن عرب الشمال اتخذوا
الأصنام في عصور متأخرة ، وأنهم كانوا في ذلك متأثرين بالوثنية
اليونانية السريانية ، ويؤيد ذلك أن كلمة صنم مأخوذة من كلمة آرامية
سريانية هي صيام ، (٤) .

ولقد زاد عمرو بن لحي في التلبية فقال د لبنيك اللهم لبنيك ، لبنيك
لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك (٥) .

(١) اليعقوبي ١ ص ٢٩٥

— انظر سيرة ابن هشام ١ ص ٧٩

— انظر المسعودي : مروج الذهب ١ ص ٢٦٨

— ذكر البيروني في الآثار الباقية أن المقصود مدينة البلقاء بالشام ص ٣٤ .

— وتبعه أبو الفدا في تاريخه ١ ص ٨٠

(٢) يرى البيروني أن عمرو بن لحي عمل للعرب صنمين ، هما أساف ونائلة . الآثار

الباقية ص ٣٤

(٣) ابن الكلبي : الأصنام ص ٧

— يرى خودا بخش أن بداية ظهور إلحاد العرب ما زالت سرا غامضا ،

الحضارة الإسلامية ص ٢٦

(٤) حامد عبد القادر : الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم ص ٢٨

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ٦ ص ٣٠

— انظر اليعقوبي ١ ص ٢٩٦

ولقد شاعت عبادة الأصنام بين العرب لأسباب كثيرة ، غير أنها لم تستطع أن تزيل فكرة وجود إله واحد خلق هذا الكون .

يقول صاعد الأندلسي (١) : « جميع عبدة الأوثان من العرب موحدة لله تعالى ، وإنما كانت عبادتهم لها ضرباً من التدين بدين الصابئة في تعظيم السكواكب ، والأصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقد الجاهل في ديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأي صاحب فكرة ، ولا دان به صاحب عقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى : « ما عبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، ومع ذلك بقيت هناك قلة موحدة على دين إبراهيم عليه السلام ، ذكروا أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يجلس إلى السكبة ، ويقول : « يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري » ، ثم يقول : « اللهم إني لو أعلم أحب الرجوه إليك لعبدتك ، ولكني لا أعلم » ثم يسجد على راحته .

ولقد وقعت هذه النفسية القلقة حائرة أمام عبادة الأصنام والتعدد الذي تقوم عليه .

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور (٢)

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٩

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٤١

— انظر تاريخ بن عساكر ج ٦ ص ٣٣

— أورد هذه الآيات لويس شيخو في كتابه « شعراء النصرانية » مع اختلاف

في بعض الإلفاظ وتفسير في التركيب .

عزت اللات والعزى جميعها كذلك يفهم الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتقيها ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولا هبلا أدين وكان ربها لنا فى الدهر إذ حلى يسير

ولقد أدى تعدد الآلهة إلى ضعف قوة كل من هذه الآلهة المتعددة ، (١) وكان من العرب من أدرك (٢) عجز الأصنام وضعفها ، بل إن منهم من كان يأكلها عندما يستشعر حاجته إلى الطعام .

نخلص من ذلك إلى أن عبادة الأصنام لم تستطع أن تملأ وجدان العرب الدينى بما جعلهم يعــانــون حالة من القلق ، وكان وجود المسيحية من العوامل التى أبرزت هذه الحالة ، وأدت إلى تحويل أفكارهم من الوثنية إلى أفكار انبى ، (٣) .

ويبدو أن أفرادا ممن كانوا ينزعون إلى التوحيد قد اعتنقوا المسيحية ، فأمية بن أبى الصلت (٤) كان قد نظر فى الكتب وقرأها ،

(١) خودا بنخش : الحضارة الإسلامية ص ١٠

(٢) راجع قصة الأعرابي الذى رمى صنما يقال له سعد بحجر لأنه فرق له بله عندما أدناها مته ليلتمس بركته . ابن الكلبي : الأصنام ص ٣٧

— انظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٨٣

— البيروني : الآثار الباقية فى القرون الخالية ص ٢١٠

(٣) خودا بنخش : الحضارة الإسلامية ص ٣٠

(٤) انظر طرفا من أخباره فى تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ١١٥ - ١١٩

— الأصفهاني : الأغاني ج ٤ ص ١٢٩ ط . دار الكتب

— الألوسي : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ٢٥٣

وليس المسرح تعبدا ، وكان من ذكروا لإبراهيم وإسماعيل والحنيفة ،
وحرم الخمر ، وشك في الأديان ، (١) .

وهو الذى يقول (٢)

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا
شريفا ما يناله بصر العين قرى دونه الملائك صورا
ومن الشعراء الذين لونت المسيحية شعرهم عدى بن زيد ، وكان
أهله نصارى نزلوا فى الجانب الشرقى من الحيرة ، وقد نال قسطا من
التعليم هناك لأنه لا يكون من أفهم الناس بالفارسية ، وأفصحهم
بالعربية ، وكان أول (٣) من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، وعلى
الرغم من اعتناقه المسيحية ، فإنه حلف برب مكة ، كما حلف بالصليب حين
سجنه للنعمان .

سعى الأعداء لا يألون شرا على ورب مكة والصليب (٤)
ولم يقف أثر التعاليم المسيحية عند أحد الشعراء المسيحيين وحدهم ،

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج ٣ ص ١٨٠ ط . سامى

(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٤٣ .

— ابن عساكر : التاريخ الكبير ج ٣ ص ١٢٣ مطبعة روضة الشام .

(٣) انظر الأغاني ج ٢ ص ١٨ ط . سامى

(٤) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج ٢ ص ١١١ ط . دار الكتب

والرواية هنا مناسبة للمعنى ، ولقد وردت فى طبعة سامى «عليك» ج ٢ ص ٢٣
كذلك وردت فى شعراء النصرانية «عليك» ص ٥١

ولمّا تهداهم إلى غيرهم ، فقد نزع النابغة إلى التدين . وكان الأعشى (١)
يأتى العباديين نصارى الحيرة ، ويشترى منهم الخمر ، فأخذ عنهم مذهب
التدريّة ، كذلك حلف بمسوح الرهبان وبالكعبة .

فإني وثوبى راهب اللج والى بناها قصى والمضاخى بن جرم (٢)
لئن جد أسباب العداوة بيننا لترتكبن منى على ظهر شيهم

والباحث لا يكون مغاليا إذا ذكر أن الفوضى الدينية قد أدت إلى
اضطراب أفكار العرب ، مما أثار فيهم اللفتة إلى النجاة .

وقد شاء الله أن يبعث الرسول مبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا ، فأنشأ من القبائل المفككة أمة مسلمة .

وقد أخطأ بعض المفكرين فى رده قواعد الإسلام إلى أصول مختلفة
من الأديان التى انتشرت قبله .

يقول ماكس فانتاجو : إن محمدا أقام الإسلام ديننا موحدا ،
به عناصر متنوعة من الأديان المحلية إلى جانب المزيج الذى اقتبسه من
المسيحية واليهود ، (٣) .

ويقول خودابخش المؤرخ الهندى : ورأينا أنه لا يضير محمدا
بصفته نبيا أن يفتبس آراء معاصريه . فليس هناك مصلح أو سياسى ،
أو حاكم يمكنه أن يخلق نظما جديدة ، بل عليه أن يساير الظروف (٤) .

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني - ٨ ص ٧٦ ط . ساسى

(٢) ديوان الأعشى ص ١٢٥ المطبعة النموذجية

(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٣٦ ، ٣٧

(٤) خودابخش : الحضارة العربية ص ٨

ولقد فات هؤلاء أنه إذا كان هناك شيء من اليهودية أو المسيحية جاء في الإسلام ، فرد ذلك أن هذه الديانات السماوية إنما تمثل التدرج الديني ، ومراقب السمو في العقيدة ، وهي في قوانينها ، وفرائضها الملزمة ، إنما تمثل المنهج الديني المتكامل الذي أخذ الله به عباده حتى يصل بهم إلى أعلى درجات الإيمان واليقين .

والباحث لا يريد أن يخوض في جزئيات الشريعة أو تفاصيل الفقه ليثبت أنها إسلامية بحتة ، فضلا عن أن ذلك أمر مقرر ، كما أن إدارة الحديث في مثل هذا الموضوع سيخرج به عن النطاق الذي رسمه لنفسه ، وألزمها به ، وإنما يود أن يشير إلى أن رسالة محمد (ص) نزلت في الوقت الذي يتطلبها ، ويعين على قبولها ، إذ سرعان ما عم ضوؤها أرض العرب كلها ، ثم شاء الله للفيض الإسلامي أن ترقوى به القلوب فيما وراء هذه الرمال ، ففتحت الحيرة سنة ١٢ هـ (١) ، وفتحت دمشق سنة ١٤ هـ (٢) وقضى على الفرس في موقعي القادسية والمدائن سنة ١٦ هـ (٣) كذلك فتحت مصر سنة ١٩ هـ (٤) .

وإذا ما حاولنا أن نجد تمهيدا لانتشار الدعوة الإسلامية على هذا

(١) انظر تفاصيل الفتح عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٣ ص ١٦٤

— البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٥

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٢٧

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ ، ٢٧٣

— جوهرى : موقع القادسية سنة ١٥ هـ

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٩

النحو السريع الذي تمت به ، فإننا سوف نقبل أن اجتماع قلوب المسلمين على إقامة دينهم (١) ، واثرة بين الناس كافة ، قد أزال الخلاف من صدورهم ، فاتحدت وجهتهم ، وعندئذ لم يقف شيء في سبيلهم . هذا إلى ما كان من صمودهم في القتال ، واستماتتهم فيه لإيمانهم بأنهم على الحق ، ولرغبتهم الفائقة في الفوز بما أعده الله للشهداء .

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٥٧ ؛ ١٥٨ ط مصطفى محمد .

الباب الرابع

نشاط السريان في ظل الاموريين

الفصل الأول

الاسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الإسلامية

كان الطابع العربي هو الذي يميز الدولة الإسلامية في عهد
الامويين (١) ٤١٥ هـ - ١٣٢ هـ ، ولذلك جرت نظرة العرب إلى الأعاجم
في ظلهم على أنهم أقل منهم مرتبة ، فاستعلوا عليهم ، وأنفوا أن
يزوجهم (٢) بناتهم ، كما لم يكن عمل رضى من العامة أن يتولى أحد
من يشك في نسبهم منصبا رئيسيا (٣) .

ولقد دفع هذا المسلك الكثيرين من العجم إلى الدخول مع المسلمين
في دينهم لكي يعزوا (٤) بهم فلقد رأوا أن أهم مصدر لشعور المسلم
بتفوقه هو يقينه الذي لا يقبل الجدل بأن دينه خاتم الأديان ، وأنه هو

(١) راجع قول الجاحظ « إن دولة بني مروان كانت عربية أعراية ، وفي
أجناد شامية ، البيان والتبيين ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) انظر قصة تفرقة إبراهيم بن المغيرة وإلى المدينة بين أحد الموالى وزوجته
العربية ، وما أنزله به من عقاب لإقدامه على ذلك . الأغاني ٣ ص ١٤ ص ١١٤
ط . سامي .

(٣) راجع ما وجه إلى خالد بن عبد الله القسري من هجاء حين ولي على
العراق . البيان والتبيين ٣ ص ٢٧٤ ، ٣ ص ٢٩٣

— انظر دائرة معارف البستاني : مادة خالد ٧ ص ٣٢٨

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٩

الحق الذى لاحق سواه (١) .

وليس من شأننا هنا أن نستقصى الدوافع التى دفعت بالعرب إلى سلوك هذا المسلك ، فالإسلام قد جمل من مبادئه أن أكرم الناس عند الله أتقاهم ، وأن المؤمنين إخوة غير أن النسوة الذى يجب ألا يفوتنا ذكره ، هو أن المعاملة التى لقيها الأعاجم فى عهد الأمويين بخاصة ، كان مردها فى كثير من الحالات إلى تمصب العرب لجنسهم ، واستشعارهم فحشة الظافر ، وعزة المنتصر ، هذا إلى ما كانوا يطؤون عليه صدورهم من حقد قديم على الفرس .

ومها يكن من أمر ، فقد ظلت الدولة الأموية عربية المظهر . ولم يبعد الخلفاء الأمويون عن هذا الطابع إلا فى المجالات التى دفعهم الظروف إليها دفعا . لقد كانوا يصدد إرساء أسس جديدة لدولة ناشئة على نهج لم يكن للعرب به عهد من قبل . وكان بودهم أن يستكملوا لها كل مقوماتها ، ولم يكن بد إذن من أن تواجههم مشكلات نتيجة لما يمارسون من نشاط جديد . كل ذلك جعلهم يلجأون إلى ذوى الخبرة فيما جد من أمور ، فهم لم يناقضوا أنفسهم حين استمدوا العون من كل قادر عليه من أهل الثقافات اليونانية والسريانية بما أتاح للمقلية العربية أن تلقح بلمساح علمى جديد حملته إليها السريان على وجه خاص .

يقول ج (٧) . ليفى دالافيدا د فى هذا العصر بدأت الثقافة المسيحية

(١) جوستاف جرونباوم : حضارة الإسلام ص ٥٥

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى ص ٦٠٢

في صبغتها الأرمينية البوزنطية تقسرب إلى المسلمين ، وهذا هو الذي انتهى إلى تسكوين المدنية الخاصة التي امتاز بها الإسلام .

وهم لم يناقضوا أنفسهم حين استجابوا لدواعي قوميتهم العربية ، فاندفعوا يبعثون السلامة للسان العربي بما جعلهم يبعثون بأبنائهم إلى أعماق البادية لكي (١) يتعلموا هناك العربية الخالصة الفصيحة ، وهم يتشددون في هذا الأمر حتى يرى أحد (٢) خلفائهم أن ابنه ليس أهلاً لتولى أمر العرب لأنه لا يحسن النحو .

وهكذا يبدو أن الأمويين اهتموا بكل ما من شأنه أن يجعل الدولة في عهدهم عربية خالصة ، فكان إنتاجها العقلي يتكون في غالبية من الشعر ، وهو في معظمه من النوع البدوي القديم ، ولئن دخل على بعضه تعديل فتضح فيه نفحة البلاط الخيري والفساني إلا أن ذلك كله كانت تغلب عليه الروح الجاهلية ... غير أن ثقافة الإغريق وعلمهم لم يجدا لها مكاناً في شعر هؤلاء ، بل يلوح أنهما كانا شيئاً غريباً ذي معنى لديهم (٣) .

(١) راجع ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥ ص ٢٩٣

— فيليب حتى : تاريخ العرب ١٥ ص ٢٤٤

— الدكتور أحمد شلبي : تاريخ القوية الإسلامية ص ٨٢

(٢) كان عبد الملك بن مروان يعاتب ابنه الوليد على عدم إحسانه النحو فكان يقول له : لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ودخل بيتاً ولم يخرج منه مدة أشهر ، ثم خرج وهو أجمل منه يوم دخله ، فقال عبد الملك قد أعذر ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٦٦

(٣) O'Leary : How Greek Science Passed to the Arabs p. 146

ولقد توفرت في الدولة الاموية كل العوامل التي تساعد على قيام مراكز ثقافية تعنى بالنشاط العقلي ، وتمثلت هذه المراكز بصورة واضحة في كل من البصرة والكوفة فلم تكن تغطي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم حتى أصبح العراق مركزا لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر ، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربي الجديد من قوة فنية ، وعزم متوقد ، تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق المنشأة حديثا مثل البصرة والكوفة (١) .

حقيقة إن عمر بن الخطاب (٢) كان قد أشار ببنائهما ليكونا تمسكناث لجند المسلمين إلا أنها سرعان ما أصبحتا من أهم مراكز الثقافة بعامة وما يمس الجوانب اللغوية منها بخاصة .

يقول ف بارثولد وصارت الكوفة والبصرة مركزين نشيطين للحياة العلمية ، ولم يسكن في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) مدينة

(١) نجلاء عز الدين : العالم العربي ترجمة محمد عوض ابراهيم ص ١٢
(٢) جاء في مختصر تاريخ الدول لابن العبري « أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الاشعري فبنى مدينة البصرة » ص ١٧٤

— ذكر أبو الفدا أن ذلك كان سنة ١٤ هـ ، وقيل سنة ١٥ هـ ١٢ ص ١٦٨
— غير أن أوليري يقول « إن الذي أسس البصرة هو عتبة بن عذوان في سنة

٦٣٥ ، ٦٣٧ ، p. 148 How Greek science passed to the Arabs

— ذكر ابن خلكان أن الكوفة بنيت في الإسلام على ظهر الخيرة سنة ١٧ هـ ،
بناها عمر بن الخطاب على يد سفد بن أبي وقاس . وفيات الاعيان ج١ ص ٨٣

تستطيع منافستها ، ففيها وضعت علوم العقائد والفقه من قبل الأعاجم
« غير العرب » الذين أسلموا وتلاميذهم ، ثم نشأت في كلتا المدينتين
مدرسة للنحويين واللغويين ، فكانت مجادلات ومناقشات بين البصريين
والكوفيين ، (١) .

ويقول دى بور « إن المقر الأكبر للثقافة العقلية كان في البصرة
والكوفة حيث التقى عرب وفرس ، ونصارى ومسلمون ، ويهود ومجوس ،
وهنا حيث ازدهرت التجارة والصناعة ، يجب أن نلتبس بواكير العقل
الديوى ، تلك البواكير التي نشأت من مؤثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة
اليونانية في دورها الشرقي (٢) » .

ويشير المستشرق جب إلى الأثر السرياني في بيئة البصرة بقوله « ولما
كانت مدينته البصرة في واقع الأمر هي المركز الرئيسى لدراسات
الأدب العربى في مبدأ الأمر ، فهذا يشير إلى أن أحد العوامل التي
عملت على تشجيع تلك الدراسات كانت أكاديمية جنديسابور ، ومع أن
تلك الأكاديمية وجدت في الأراضى الفارسية ، فلم تكن مركزا للدراسات
الآرامية ، وكان أغلبية قوادها من العلماء من النسطوريين (٣) » ،

ويذهب الأستاذ حامد عبد القادر إلى أن الثقافة السريانية قد وفدت إلى
الكوفة والبصرة من الحيرة ، لا من جنديسابور ، فيقول « وقد استقى

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ٧١

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية : ص ٧

(٣) انظر الدكتور صلاح الدين المنجد : المنتقى من دراسات المستشرقين

هـ. أ. ر. جب : خواطر في الأدب العربى ص ١٣٠

الحيريون معارفهم اليونانية من اللغة السريانية ، وحلت الكوفة والبصرة في العصر الإسلامي المزدهر محل الحيرة (١) .

أما أوليرى فيرى أن البصرة قد أعجبت بالثقافة الإغريقية الوافدة إليها من الحيرة على احتمال ، ومن جنديسابور على احتمال آخر (٢) .

ولقد توفرت عدة أسباب ضاعفت من الاهتمام بالدراسات اللغوية في كل من البصرة والكوفة ، من ذلك ، ما وجد من الحوة الواسعة التي كانت تزداد اتساعا يوما بعد يوم ، فتفصل بين لغة القرآن الفصحى ، ولغة الكلام اليومية التي كانت تخالطها السريانية والفارسية وغيرها من اللغات واللهجات ، (٣) .

كذلك في وسعنا أن نلاحظ أيضا أن إحساس الموالى بالضعف جعلهم يدركون الحاجة إلى تعلم اللغة العربية ودراستها ليقفوا بأنفسهم على مرامي القرآن ومعانيه ، وليتخذوا من إجادتهم لها وقوفهم فيها سبيلا يقر بهم من الخلفاء والحاكمين ، ويصل بينهم وبين المراكز العالية في الدولة .

كذلك نجد أن النظر في القرآن (٤) والحديث أيضا كان يستوجب أن يتقدمه الاهتمام بالعلوم العربية لأنه متوقف عليها ، وهى علم اللغة والنحو والبيان ، ونحو ذلك ، وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالجملة

(١) الإسلام : ظهوره وانتشاره .

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب - ترجمة تمام حسان ص ٢١٩

(٣) فيليب حى : تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠١

(٤) انظر حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج ١

الإسلامية ، ولقد كان العرب يأخذونها بسايقهم وفطرتهم قبل الإسلام ، ولم يكونوا في حاجة الى أن يفصلوا القول فيها حينذاك لأنهم لم يقدر لهم في معظم أحوالهم أن يفارقوا صحراءهم ، أو يخاطبوا غيرهم من الأمم ، فلما أسلموا وتجاوزوا بالإسلام حدود باديتهم ، ودخل معهم فيه من ليس منهم ، تسربت اللكنة الأعجمية إلى كثير من الألسن ، وسرى اللحن بين الناس مما دفع البعض إلى أن يقول ذهبت لغة العرب لما خالطهم العجم ، وتوشك إن تطاول عليها الرومان أن يضمحل (١)

كل أولئك آثار حمية العرب ، فأخذوا يهتمون بكل ما يتصل بلغتهم حفظاً لها من التغيير ، وعونا على إستجلاء معاني القرآن الكريم الذي نزل بها ، فقد قيل عن أبي الأسود الدؤلي أنه أخذ النحو عن علي بن أبي طالب وكان لا يخرج شيئاً أخذه عنه إلى أحد حتى بعث إليه زياد أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ، ويعرف به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ : إن الله يرى من المشركين ورسوله بالكسر ، فقال ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد ، فقال أفعل ما أمر به الأمير ، فليبتغي كاتباً لقنا يفعل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس . . . فقال أبو الأسود إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن ضممت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف ؛ وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف ، (٢) .

(١) أبو الأسود الدؤلي : انظر دائرة معارف البستانى المجلد الاول ص ٧٨٨

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٦٦ ط . الاستقامة

ومما كان حظ هذه الرواية من الصدق فإنها قد دل على تبليبل الألسنة ،
ورغبة أولى الأمر في المحافظة على سلامة اللغة .

ولئن كان ظاهر الأمر يشير إلى أن عنصر الأصالة العربية هو
الذى يغلب على هذه الدراسات التى تدور فى محيط اللغة ، إلا أنه فى
الإمكان تبين الآثار الأجنبية فيها ، فها نحن أولاء نرى أن هذا
النشاط الذى حفلت به البيئة الإسلامية ، والذى قام ليصون اللغة العربية
من عجمة الذين بدأوا يتكلمون بها من غير أهلها ، وليفيد منه العرب
أنفسهم لآتهم خالطوا الأعاجم فتغير لسانهم ، وليخدم النص القرآنى
حتى لا يزل أحد فى فهمه ، ما هو إلا صورة بما فعل السريان قبل ذلك
فى لغتهم ، ولقد ظلوا يستغنون بالأحرف دون الحركات برهة طويلة
من الزمان ، ثم قنصروا ، وقلوا إلى لغتهم الكتب المقدسة خصوصا
الإنجيل ، وأرادوا ضبط كل كلمة منها عند قراءتها فى الكنائس والبيع
احترازا من الخطأ ، فإن الخطأ فى تلاوة مثل هذه الكتب المحترمة فاحش ،
وقد يستلزم ما يؤهم الكفر والزندقه فى قارئها ولما لم يكن
للسريان بد من الحركات ، ولم تكن لهم سبيل إلى تغيير الأحرف المعهودة
المستعملة ، أو إلى زيادة أخرى ، اضطروا إلى اختراع علامات صغيرة
لا تتأثر بها الأحرف ولا يغير شكلها ، فاقنصروا على رسم نقطة أو
سطيرة صغيرة فوق الحرف أو تحته أو فى وسطه ؛ وبقيت الأحرف كما
هى ، فلم يغيروا أحرفا ، بل زادوا نقطا أو سطيرات . . . ولقد حذا
اليونان حذوهم فى ذلك ، فلما جاء العرب اتفقوا بذلك وأقتنوه
وأصلحوه (١) .

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٣ ، ٨٤

يقول أحمد أمين « كان طبيعياً أن ينفش علم النحو في العراق لأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام ، وكان لها قواعد نحوية ، فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصاً واللغتان من أصل سامي واحد ، لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريين أولاً ثم الكوفيين ، (١) .

ويلاحظ أنه في « المصاحف القديمة من الجيل الثاني للهجرة تدل النقطلة من فوق الحرف على الفتح ، ومن تحته على الكسر ، وفي وسطه على الضم ، ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليه الآن ، (٢) .

وقبدو ملامح التأثير السرياني بشكل واضح في دراسات اللغويين ، فالخوارزمي في مفاتيح العلوم يعقد فصلاً (٣) « في وجوه الإعراب على مذهب فلاسفة اليونانيين » يقول فيه « الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين وناقصة ، وكذلك الضم وإخوته المذكورة ، والكسر وإخوته عندهم ياء ناقصة ، والفتح وإخوته عندهم ألف ناقصة » .

وإذا كان المسلمون قد تأثروا بالسريان فيما اتخذوه لضبط لغتهم وإعرابها ، فإن السريان كانوا وراء المنهج الذي اتخذته النحاة لكتبهم ، ذلك أنهم كانوا يشتغلون بالفلسفة والعلوم اليونانية في مدرسة جنديسابور ، ولقد أدى ذلك إلى أن أصبحت المعارف اليونانية منتشرة

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٢٠

(٢) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

ص ٨٤

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٣١ ط . الشرق

بين الفرس شائعة فيهم ، وابن خلدون في مقدمته يذكر أن أصحاب صناعة النحور كسيبويه والفارسي من بعده ، والزجاج من بعدهما ، كلهم عجم في أنسابهم ، وإنما ربوا في اللسان العربي ، فاكثبوه بالمربي ، ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفنا ، (١) .

لذلك ليس غريبا أن نراهم عند وضعهم كتبهم المشهورة يسلكون مسلكا فلسفيا يتعلق بالمنطق ، ومن ذلك أن أرسطاطليس قال إن الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء ، إذ لا بد لكل شيء مخلوق أن يكون واقعا في زمان من الأزمنة ، وفي مكان من الأماكن ، فهما كالوعاء ، وهذا أصل تسميه النحويين للمفعول فيه ظرفا ، أى وهاء ، ومن مذهب أرسطاطليس في المنطق تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وتعريف الكلام عند نحاة اليونان هو تركيب كلمات تنفيذ معنى تاما ، وهذا مماثل تعريف الكلام عند نحاة العرب ، إذ الكلام عندهم لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليه ، والصرف عند اليونان هو تحويل آخر الكلمة من حرف إلى آخر ، ويضاهيه تعريف الإعراب عند نحاة العرب ، ويقال للصرف عند اليونان كسيس ومعناه إمالة الشيء أى صرفه (٢) .

ولعلنا بعد ذلك نستطيع أن ننظر في قول أحد الباحثين المحدثين « لولا علمنا أن الذى ترجم كتاب الشعر هو متى بن يونس المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، ويحيى بن عدى سنة ٢٦٤ هـ ، لاتهمنا النحاة بالنقل عن

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٤ ط . مصطفى محمد

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

« أرسطو » ، لأن النحاة اشتغلوا بتدوين علمهم قبل ظهور الكتاب بأكثر من قرن من الزمان ، بل استوى نحوهم علما قائما بذاته قبل ظهور كتاب الشعر بأكثر من قرن (١) .

* * *

وبعد أن بينا العوامل التي أعانت على فعالية التأثير السرياني في الدراسات اللغوية العربية ، ومظاهر هذا التأثير ، نعود لما ذكرناه آنفا من أن الأمويين كانوا بصدد بناء ملك وإقامة دولة ، لذلك لم تكن هذه العلوم وتلك الدراسات التي عرضنا لها بمستطية أن توفر لهم مطالبهم . كذلك لم يكن رجالها بقادرين على أن يكفروهم حاجاتهم ، وإذا كانت القبائل قبل الإسلام تتخذ من الشعراء أعرافا على حفظ كياناتها ، فإن الظروف قد تغيرت في العصر الأموي ، وأصبحت الدولة في حاجة إلى صنف آخر من الناس يوطد لها أركانها ، كذلك إذا كانت ثقافة كل عصر عليها أن تلبى مطالبه ، وتشبع حاجاته ، فإن ثقافة العصر الأموي قد قامت بدورها ، حقيقة لأنهم لم يفرغوا للشئون العملية بقدر ما فرغوا للامور السياسية إلا أننا نصادف من بينهم من لم يدخر وسعا في سبيل تشجيع الحركة الأدبية ، والتقدم العلمي . وإذا لم يقدر لنتائج جهودهم أن تظهر بجلاء ، فإن هذا يرجع لعدم استقرار الامور طوال أيامهم ، وقرب العهد بالعصر الجاهلي . وإذا كان المتفق عليه « أن التقدم في المدنية يخطر بالتدرج خطواته ، فإنه قد خطا الاولى منها الأمويون ، وخطا الخطوات الأخرى العباسيون (٢) » ، وعلى

(١) الدكتور إبراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ١١٧

(٢) راجع قصة الأدب في العالم . تصنيف أحمد أمين وزكي نجيب محمود

ذلك فالازدهار الذى أصابته الحياة العلمية فى العصر العباسى قد وضعت أولياته على أيام الأمويين ، ذلك لأن الظواهر الحضارية دائما فى حاجة إلى فسحة من الوقت لكي تخرج ثمارها .

وهكذا استجلبت البيئات العلمية علوما كانت حتى ذلك الحين تكاد تكون غريبة على العقلية العربية بما دفع إلى تسميتها بالعلوم الدخيلة . ولقد كان السريان هم القنطرة التى عبرت عليها هذه العلوم لتصل إلى العرب ، وساعد (١) على ذلك هذا التزاوج السريع الذى حدث بين العرب وبين الأمم المغلوبة بعامة . ولقد تم هذا التزاوج فى البيئات التى تبعق بالروح الهلينية بدافع من مساواة الإسلام بين معتنقيه ، إذ لم يكن ثمة تعصب أو انحياز ، وإنما كانت المساواة ، وكان التسامح هما الأساس الذى بنى عليه الإسلام معاملته لأهل الأديان الأخرى ، وقد كان لذلك أثره فى استثارة همهم ، وتحريك رغبتهم فى المشاركة فى ألوان النشاط المختلفة التى تدور حولهم .

يقول جوستاف جرونبيوم د وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى بواكير صدر الإسلام مرضية مقبولة ، (٢) .

ويقول ف . بارقولد د وكان النمساوى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمنة الأولى لحاجة الفاتحين إلى هذا العنصر المسيحى

(١) انظر الدكتور على سامى الذشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ص ٦٠ ، الطبعة الأولى

(٢) جوستاف جرونبيوم : حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز قوفيق جاوريد ص ٢٣٣

المتفوق على العرب حضارة (١) .

ولقد كان انتقال الخلافة من الحجاز إلى سوريا من العوامل التي فتحت الباب أمام السريان ليسهموا بجهودهم في بناء الدولة الإسلامية . كما كان لهذا الانتقال أثره في تطور الحضارة ، فلقد وجد العرب أنفسهم حكاما لمنطقة كانت ولاية رومانية خاضعة لقانون روماني كامل التطور وإدارة منظمة جدا ، وقد أبقوا كل هذا كما كان (٢) ، كذلك كانت دمشق (٣) وهي العاصمة الرسمية لسورية مدينة إغريقية جزئيا ، كما كانت مقر الأساقفة المسيحيين ، وكانت بها مدرسة ظلت تحتفظ بشهرتها حتى وقت الفتح العربي . ولقد خضع معاوية وخلفاؤه من بعده في دمشق للعادات اليونانية ، فحول الخلفاء الأمويون جمهورية المدينة الدينية العربية إلى امبراطورية حقيقة سورية فضربوا الدنانير الذهبية على نسق الدراهم البيزنطية ، وجعلوا الخلافة وراثية بعد أن كانت انتخابية ، واستعملوا عمالا كثيرين من اليونان والسريان ، وأسندوا إلى المسيحيين مركز الوزير الأول (٤) .

يقول ج . ليفي دالافيدا : لقد انتفع معاوية في إدارة البلاد الداخلية بخبرة المسيحيين أكثر مما انتفع أسلافه ، وكان قد اتصل

-
- (١) ف . بارقولد : تاريخ الحضارة الإسلامية : ترجمة حمزة طاهر ص ٥١
(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ترجمة : الدكتور تمام حسان ص ٢٠٦
(٣) المرجع السابق ص ٢١٠
(٤) ماكس فانتاجر : المهجرة العربية ص ٣٩ .

بالمسيحيين اتصالا وثيقا أيام ولايته على الشام في عهد عمر وعثمان ،
وعرف مبلغ علمهم ومقدرتهم العلمية (١) .

ويقول أوليرى : « وقد ظلت الكتابة في السنوات العشرين الأولى
أو ما يزيد عنها باللغة الإغريقية ، وكان الموظفون المدنيون جميعا من
المسيحيين على وجه التقريب (٢) » .

ويبدو أن هذه الظاهرة بعد أن قفشت كانت لا تجد قبولا من
الرأى العام العربى . يقول جوستاف جرونيباوم « كان قعنين غير
المسلمين فى مناصب الحكم يعد أمرا غير قانونى ، وأن المعينين كانوا
يتولون مناصبهم على مضض من الناس ، وأن دوائر الاتقياء كانت
تضارب دائما مثل ذلك التراخى فى التصرفات من جانب بعض
حكاهم (٣) » .

ويذكر أوليرى أنه « فى عهد الخليفة عبد الملك كانت ثمة غيرة
عظيمة لأن المسيحيين احتكروا جميع الوظائف الإدارية ، وحاول
الخليفة أن يستخدم العرب فى أمكتهم ، ولكن النغير لم يكن ناجحا ،
وأكثر ما استطاع عبد الملك أن يفعله هو أن يحول الكتابة من
الإغريقية إلى العربية ، وأن يكتب العربية على النقود (٤) » .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى ص ٦٧١

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٠٦

(٣) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٢٣٠ ، ٢٣١

(٤) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٠٧

وعندما نبحث الأسباب التي أعانت المسيحيين بوجه عام على أن يضطلعوا بدورهم في بناء الدولة الإسلامية يجب ألا يغيب عن بالنا تلك الحرية الفكرية ذات المدى الواسع الذي سمح لفهر المسلمين بأن يعرضوا آراءهم دون خوف أو تردد .

فالتقوحات الإسلامية لم توقف سير الحياة العقلية في البلاد التي قدر لها أن تدخل في مجاهلها ، كذلك رضى الإسلام أن يظل أهل الأديان الأخرى على أديانهم ماداموا قد قبلوا أن يدفعوا الجزية ، بل لقد بلغ من سعة صدر خلفاء بني أمية أنهم كانوا يديحون المناقشات الدينية بين علماء الإسلام ، وعلماء المسيحية في حضراتهم .

ولعل هذا الرباط الودى الذى شدد أهل الديانتين حتى فيما اختلفوا فيه كان مما دفع إليه قول الله تعالى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن (١) ، وقرله تعالى : ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون (٢) .

إذن لا غرابة بعد هذا إذا قلنا إن الحياة العقلية بوجه خاص ظلت فى الإسلام تسير رتيبة كما كانت فى كثير من البقاع التي كانت تسودها الروح الهلينية .

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

ولقد تمثل ذلك بصورة متميزة فى المجتمعين النسطورى واليعقوبى
حيث ظل الفساطرة واليعاقبة على قوانينهم وتقاليدهم ، وظل مسلكهم
فى الحياة دون تغيير أو تبديل ، بل إن الامر قد تمهياً لهم ليزيدوا
من طاقتهم فى خدمة الثقافة والمعرفة بما ساعد على نقل العلوم اليونانية
والتحاضرها بالفكر العربى .

الفصل الثاني

حركة النقل وجهود السريان فيها

من اليسير علينا أن نقبين الاتجاهات العلمية في عهد الأمويين ، فالتقدم ورثوا حضارات الأقطار التي دخلها الإسلام حق وقتهم ، وكان انتقال الخلافة إلى دمشق كما ذكرنا من العوامل التي أمدتهم بقرات علمي زاهر ، متعدد المعارف والثقافات (١) ، فقد راقهم - وهم في بيئتهم الجديدة بالشام تحيط بهم عناصر الحضارة القديمة الناشئة من امتزاج المدينتين اليونانية والشرقية - أن ينهلوا من مناهل هذه الحضارة مع تحويلها بما يجعلها ملائمة لأغراضهم المادية والروحية ، وهكذا ظلت دمشق القديمة كما كانت مركزا (٢) للحياة الحضارية والسياسية في سورية ، وكثير فيها الأطباء اليونانيون ، ولا سيما من الرهبان على عادة حفظ الصناعة قديما في خدام الهياكل الوثنية ، فتحول الأمر إلى خدام الكنائس والديارات عند المسيحيين (٣) . ولقد أسهم هؤلاء الأطباء في نقل كثير من معارفهم إلى اللغة العربية . كذلك تهيأت الأسباب في هذه الفترة لكي يتلقى المسلمون الفلسفة اليونانية في هذا الوقت المبكر ، وقد تثقف بها أفراد منهم .

يقول ابن أبي أصيبعة عن النضر بن الحارث بن كاده أنه « اطلع

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٣٨

(٢) ف. بارثولميه : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٦٣

(٣) عيسى اسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة (١) .

وإذا كان الاتصال بالفلسفة اليونانية لم تقتض آثاره بشكل بارز حينذاك ، فإن هذا يرجع إلى أن المسلمين حتى ذلك العهد كانوا يخشون الخوض فيما يمس المسائل الفلسفية (٢) خوفا على عقيدتهم التي لم تتأصل بعد في نفوس العامة منهم غير أن الحرية الدينية التي سادت في هذا العصر أفاضت لكثير من الآراء الدينية أن تتعارض وتتناقض ، مما جعل الفرصة تسنح لرجال الدين المسيحي أن يتناولوا الأمور التي كانت تثار الجدل بينهم وبين المسلمين تناولا فلسفيا .

وشاع في هذه الفترة أن في الإمكان الحصول على الذهب من المعادن الرخيصة ، ودفع هذا الاعتقاد الكثيرين إلى دراسة الكيمياء ، وأثار فيهم الاهتمام بأمرها ، فابتدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية بتأثير المسيحيين ونحن في القرن الأول الهجري (٣) .

خالد بن يزيد

إن الشخصية الإسلامية الأولى التي عملت بمشورة علماء السريان ، فأقدمت على الاشتغال بالكيمياء هي شخصية خالد بن يزيد .

قال عنه دي بور إنه « اشتغل بالكيمياء بإرشاد راهب

-
- (١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١١٣
 (٢) يقول حاجي خليفة : « إن المقصود من المنع هو احكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام » كشف الظنون عن أسامي السكتب والفنون ص ٣٤
 (٣) انظر ف. بارتولد : الحضارة الإسلامية ص ٦٤ - ٦٨

نصراني ، (١) .

وتحدث عنه ابن النديم فقال إنه كان يسمى (٢) حكيم آل مروان وكان فاضلا في نفسه ، وله مهمة ، ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد قفصح في العربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي ، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة . وكان ما نقل يتضمن كتباً في الطب ، ويضم كتباً في النجوم .

وفي عداد الأسباب التي دفعت هذا الأمير إلى الاشتغال بالكيمياء والعناية بإخراج كتب القدماء فيها ، نستطيع أن نذكر إلى جانب محبة للعلوم أمر إبعاده عن الخلافة ، فلقد كان راغبا فيها بعد وفاة أخيه معاوية الثاني ، ولكن مروان بن الحكم غلبه على ذلك ، فراح يحاول واكتساب العلا بالعالم (٣) .

كذلك نستطيع أن نذكر ما طبعت عليه نفسه من السكرم والجور فلقد قيل له : لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة ، فقال خالد : ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني ، إني طمعت في الخلافة

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٩

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٢ ط . الاستقامة ، وانظر ص ٥١١ من المرجع نفسه

— راجع الجاحظ : البيان والتبيين ص ١ ص ٣٣٨

— ورسائل الجاحظ ص ٩٣ ط . السندوني .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣٣٢

فاختزلت دوني ، فلم أجد عنها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ،
فلا أحوج أحدا عرقي يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان
رغبة أو رهبة ، (١) .

ولقد تعمق خالد بن يزيد في دراسة الكيمياء حتى لقد كان له
فضل السبق في التأليف فيها ، ذكر ابن خلكان (٢) ، أنه كان من أعلم
قريش بفنون العلم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب ، وكان
بصيرا بهذين العلمين ، متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ،
وأخذ الصناعة على رجل من الرهبان يقال له مريانوس الرومي . . . وله
فيها ثلاث رسائل .

ويقرر ابن النديم أنه شاهد كتبه التي وضعها ، فيقول : إنه صح (٣)
له عمل الصناعة ، وله في ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير
في هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه كتاب
الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته
إلى ابنه في الصناعة .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٥١١ ط . الاستقامة

(٢) وفيات الأعيان - ١ ص ٢١١

- انظر جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند
العرب ص ٩

- اقرن ذلك بما ذكره عيسى المعلوم : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

(٣) الفهرست ص ٥١١ ط . الاستقامة

- انظر صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٥ ط . محمد زعر

ويكشف أحد الباحثين عن موضوع رسالة ، وما عالج فيها
فيقول إن د له في (١) صنعة الكيمياء في الطب رسائل ، وأشهرها ثلاث ،
لأحداها ضمنها ما جرى له مع موريانوس ، وكيف تعلم منه ، والرموز التي
أشار إليها .

ولقد عرف خالد بن يزيد الطريقة التجريبية في أبحاثه ، يقول
ابن عساكر د إن (٢) الناس تذكروا الماء بمحضرة عبد الملك بن مروان ،
فقال خالد : منه ما يكون من السماء ، ومنه ما يستقيه الغيم من البحر
فيعذبه الرعد والبرق ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات ،
وأما النباتات فإنما يكون من ماء السماء ، ثم قال : إن شئتم أعذبت لكم
ماء البحر ، فأتي بقلال من ماء ، ثم وصف كيف يصنع به
حتى يعذب .

ويبدو أن شهرة خالد بن يزيد العلمية كانت قد ذاعت وانتشرت
حتى د يروى أنه وجد الحجر الفلسفي الذي يصنع به الذهب
الاصطناعي (٣) .

كذلك يبدو أن حداثة العهد بهذه المعارف في البيئة العربية قد
دفعت الناس إلى المبالغة في أمر من يشتغلون بها ، فقيـل عن خالد
بن يزيد د أن عليه من الذي استخرجه دانيال من غار الكنز ، وهو

(١) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

(٢) التاريخ الكبير : ح ٥ ص ١١٩ مطبعة روضة الشام ١٩٣٢ م .

(٣) ف بارقوله تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٦٩

الذى أودعه آدم أبو البشر ما علم (١) .

وهناك من (٢) يذهب إلى أن ما نسب إلى خالد لا يعدو حد القصص إلى الحقيقة ، وعلى أية حال فإن نسبة هذا النشاط إليه هامة فى حد ذاتها ، ففى تكشف عن اتجاه المسلمين إلى ترجمة الآثار العلمية فى هذا الوقت من حياة أممتهم ، وتشير إلى أن اللغة العربية استوعبت هذه المعانى العلمية التى عرضت لها الكتب المترجمة ، ثم إنها تؤكد أن العرب استمدوا معارفهم العلمية فى البداية من المراجع اليونانية القديمة ، وأنهم كانت أول حافز لهم على تلك الدراسات .

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن خالد بن يزيد قد استدعى بعض العلماء من الإسكندرية (٣) ، وكلفهم ترجمة الكتب اليونانية التى تناولت موضوع الكيمياء ، ومن هؤلاء المترجمين أصطفئ القديم ، وهو أول المترجمين فى هذه الدولة ، وقد عرب لخالد المصنفات الطبية والكماوية عن اليونانية (٤) .

(١) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣٠٢

(٢) راجع فيليب حتى : تاريخ العرب - ص ٣٢٠ ، ٣٢١

(٣) انظر الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم

ص ١٦٤

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ ط . الاستقامة

(٥) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

الترجمة قبل خالد بن يزيد :

إن إصرار الباحثين وإجماعهم على أن أولية النقل إلى اللغة العربية معقودة لخالد بن يزيد ومن عاونه من علماء النسطرة يجب ألا يخذلنا فنصرف النظر عن المرحلة التي تسبق عصره ، فالواقع أن الترجمة كانت معروفة قبله ، ولكن الذي استحدثه خالد هو بذل جهد مقصود لنقل معارف علمية بحته لاتستلزمها شئون الحياة الجارية .

ولعل الباحث يجد الدليل على صحة هذا الرأي فيما يذكره ابن اسحق وهو بصدد الحديث عن بناء الكعبة على عهد النبي(ص) اذ يقول (١) « حدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود ، فإذا هو : أنا الله ذوبكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في السماء واللبن ،

وفي صدر الدعوة الإسلامية اتخذ رسول الله(ص) من يقوم مقام المترجم بينه وبين من يشاء الكتابة لهم من الملوك والحكام .

يقول المسعودي (٢) « كان الخزرجي يكتب إلى الملوك ويحجب بحضرة النبي(ص) ، كذلك كان يترجم للنبي(ص) بالفارسية ، والرومية ، والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن ، .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٠٨

— انظر برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ١ ص ١٩١

(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٣٤٦

ولقد كانت رغبة الرسول (ص) في تأمين الدعوة الإسلامية دافعا له لكي يوجه فريقا من الصحابة لتعلم هذه اللغات ودراستها حتى يستطيعوا أن يؤدوا عنه ما يريد لأهلها .

يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه (١) : أمرني رسول الله (ص) أن أتعلم السريانية . قال إني لا آمن يهود على كتابي ، فها مربى نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه : فكنت أكتب له (ص) إليهم وأقرأ لهم .

نخلص من كل ذلك الى أن البيئة الإسلامية في هذه الفترة شأنها شأن أى بيئة اجتماعية أخرى يتوفر فيها هذا التفاعل المستمر لا يمكن أن تخلو من يعرف لغة أهلها خاصة والظروف هنا قد أفسحت المجال لأصحاب هذه اللسان الأجنبية أن يجدوا لأنفسهم مجالا بين ظمرائي القوم .

اشتغال السريان بالترجمة قبل الاسلام

ليس من مصادقات العصر أن نجد الرواد الأوائل الذين يضطلعون بعينهم الترجمة والنقل سريانا ، اذ أن هذا هو الأمر الطبيعي الذي كان لابد أن يحدث ، ذلك لأن هؤلاء كانوا قد قطعوا في هذه الطريق شوطا بعيدا ، فقد مارسوا الترجمة قبل ظهور الدولة الأموية بكثير ، فمنذ القرن الرابع الميلادي شرع السريان (٢) في نقل الكتب اليونانية إلى السريانية في مدرسة الرها .

(١) برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣٥ ط ١٣٩٢ هـ .

(٢) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب .

فترجمت في هذا القرن مجموعات من الحكم ، وفي القرن الخامس (١) شرح
بروبوس كتب أرسطو المنطقية وإيساغوجي لفورفوريوس . كذلك من
نقلوا علوم اليونان إلى السريانية سرجيس (٢) الرأس عيسى اليعقوبي
المتوفى سنة ٥٢٦ م ، وقد كان رئيسا لأطباء رأس العين ، غير أنه
اشتهل « بالفلسفة » وكتب مقالات شتى ، وترجم كتباً كثيرة فلسفية
وطبية من اليونانية إلى الكلدانية ، (٣) .

ويذكر ابن أبي أصيبعة « أنه أول من نقل كتب اليونان إلى
السريانية » (٤) .

كما يذكر جويدي « أنه أول من علم أبناء وطنه فلسفة

(١) راجع النقل عن اليونانية في القرن الخامس الدكتور مراد كامل . تاريخ
الأدب السرياني ص ١٤١ - ١٣٥ .

(٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

— اقرن ذلك بقول أدى شير « لم يلبث سرجيس أن انحاز إلى الكاثوليك
وحارب معهم البدعة المنوفيسيتية بشدة لا مزيد عليها ، ولهذا لا صحة لقول
المؤلفين المنوفيسيتيين أنه كان يعقوبيا ، وما يستحق الاعتبار أن بعض النساطرة
كانوا من أخص تلاميذ سرجيس منهم ثيودور أسقف مرو » تاريخ كلدو
وآثور ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٧٢

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٩

— أنظر قوله « وهو أول من نقل شيئا من علوم الروم إلى اللسان السرياني

ج ١ ص ١٨٦ وانظر أيضا ج ١ ص ٣٠٤ من المرجع نفسه .

أرسطوطاليس ، (١) وقد ترجم سرجيس كتاب الطب لجالينوس (٢) الذى يعتبر أساس دراسات الطب فى الأوساط الطبية الشرقية (٣) .

وفى مصر نشط السريان قبل الفتح الإسلامى ، وبدأ نشاطهم خاصة فى الإسكندرية وفى الأديرة التى اتخذوها لأنفسهم ، وبسببهم عرفت مصر اللغة السريانية وإن ظلت محصورة فى محيط هذه الطائفة . وكان لهم نشاط علمى ملحوظ ، فقد ترجم أحد أساقفتهم نسخة الترجمة السبعينية من الكتاب المقدس إلى اللغة السريانية ، كما ترجم (٤) جاسيوس مقالات أهرن القس الطبية من اليونانية إلى السريانية .

ولقد كانت الترجمة من اليونانية إلى السريانية باللغة الدقة حتى أن « من يجيد اللغتين يجد أنه من المستحيل أن يفرق بين الأصل والترجمة السريانية (٥) » ، غير أن « مطابقة » الترجمة للأصل

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب

ص ١٨٢ .

(٢) انظر عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ٤

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٦٧ .

(٤) عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ٤ .

— راجع الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٩١ .

— اقرن ذلك بقول ابن أبى أصيبعة « إن أهرن القس ألف كنانة بالسريانية « عيون الألباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٩ .

(٥) نفلا عن خودا بنخش : الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور علي

الخرطوطي ص ١٥٧

تبدو في كتب المنطق والعلم الطبيعي أكثر مما تبدو في كتب الأخلاق أو ما بعد الطبيعة ، فقد حذفوا كثيرا من غوامض هذين العلمين ، أو فهموه على غير وجهه ، وأحلوا عناصر مسيحية محل ما هو وثني (١) ، فلقد اصطبغت النظريات الفلسفية في ذهنهم بصبغة مسيحية ولا سيما نظريات أفلاطون الذي مثله في أديرتهم في صورة راهب شرقي .

ولقد أدى هذا الالتحام المباشر بين السريان وعلوم اليونان إلى أن أصبحت الثقافة اليونانية تعيش في كيان هؤلاء القوم ، وتخالط عقولهم ، بما جعلهم يتمكنون منها ، ويصبحون معلمين لها فيما بعد حين ينقلونها إلى العرب .

ولقد كان دورهم في العصر الإسلامي امتدادا طبيعيا لما قاموا به قبل ذلك ، فقد واصلوا العمل في الترجمة ، وصاروا بذلك « واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان كالمنطق والفلسفة وعلم الفلك وهلم جرا ، (٢)

النقلة في العهد الأموي

قام يحيى النحوي (٣) « توفي قبل منتصف القرن الثامن الميلادي » الملقب بالطريق بدور كبير في نقل العلم المسيحي والآراء اليونانية إلى الإسلام ، واتخذ كان « نصرانيا فيلسوفا ، فأراد عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ازعاجه عن فارس وتخريب ديره ، فكتب

(١) دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٠

(٢) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٢

(٣) هو غير يحيى النحوي الذي تزعم بعض الروايات أن له دورا في قصيدة

عزقي عمرو بن العاصي مكتبة الإسكندرية

يحيى قصته إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد بن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين ، (١)

وعلى الرغم من أن يوحنا كان يكتب اليونانية إلا أنه لم يكن لغريقيا إذ كان سوريا يتكلم الآرامية في بيته ، ويعرف فضلا عن هاتين اللغتين اللغة العربية ، وقد مكنته هذا من أن يبصر المسلمين بطبيعة الفكر اليوناني وبخاصة الفلاسفة ، وذلك من خلال المناظرات والجدل .

يقول الفريد جيوم إنه « كان يتجادل مع العرب حول معنى اصطلاح لفظي « كلمة » و « الروح » ، اللذين نسبوا للمسيح في القرآن هل هما مخلوقان أم غير مخلوقين » ، (٢) .

وقد ذكر سويتمان أنه « قد بقي لنا قدر كبير مما كتبه ، وإذا كان هناك شك حول بعض الكتب التي تحمل اسمه ، فن المؤكد أنها إذا لم تكن قد كتبت بقلبه فإنها من وضع قلميذه ثيودور » ، (٣) .

ويبدو أن يوحنا كان على خلاف مع أهل ديارنة إذ كان يموه (٤) عليهم بما أثار حفيظتهم عليه ، وهموا بقتله ، فدفعه ذلك إلى أن يصنف كتباً يرد فيها على أفلاطون وأرسطو ، كذلك وضع كتباً دافع فيها عن المسيحية ، وجادل فيها المسلمين .

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٩

(٢) الإسلام : ص ١٢٤ ترجمة الدكتور محمد مصطفى هداره

(٣) Islam and Christian Theology p. 64.

(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٩

ولقد ظهر تأثير يوحنا في المسلمين واضحا ، يقول البيهقي ، إن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في قضايت الفلاسفة تقرير كلام يحيى النحوى (١) .

وكما ساهم يحيى النحوى في نقل الفلسفة اليونانية إلى المسلمين ، كان له أيضا دوره في نقل المعارف الطبية إليهم ، ولقد أشار البيهقي (٢) إلى أن خالد بن يزيد بن معاوية قد أخذ الطب منه ، ولا غرابة في أن يحيى النحوى قد جمع بين الدراسات الفلسفية والطبية ، فقد كانت سمة العصر أن يجمع الحكماء بين الطب والفلسفة . فقد ذكر بن أبي أصيبعة (٣) ، أن النضر بن الحارث بن كلفة الثقفى قد اطلع على علوم الفلاسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه أيضا ما كان يعلم من الطب وغيره .

(١) المرجع السابق : ص ٣٩

— يرى الدكتور عبد الرحمن بدوى أن يحيى النحوى عاش قبل الإسلام وألف كتاب الرد على برقلس في قدم العالم سنة ٥٢٩ م ، وأن هذا الكتاب قد ترجم في القرن الرابع أو قبل ذلك ، ومن الذين قاروا بكتاب يحيى النحوى هذا أبو حامد الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ، وإن لم يذكر اسم يحيى النحوى ولا كتابه ، ولكنه يكاد ينقل حججه بيمينها في رده على الفلاسفة في قولهم بقدم العالم .

انظر قصدير ، الأفلاطونية المحدثة عند العرب ، ص ٣٠ — ٣٦

(٢) انظر البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٤٠

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١١٣

ويبدو أن المسلمين كانوا يولون الدراسات الطبية عناية فائقة منذ وقت مبكر . يقول صاعد الأندلسي د كانت (١) العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلم إلا بلختها ، ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب ، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منسكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها ، ولما كان عندهم من الأثر من النبي صلى الله عليه وسلم في الحث عليها حيث يقول : يا عباد الله قداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم .

ولقد تعرض ابن خلدون في مقدمته لأحوال الطب في صدر الإسلام وخرج في حديثه إلى السلام عن الطب النبوي (٢) فقال د والطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب ، ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بحث ليعلمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من الماديات .

ولقد استمد الطب العربي العلمي مقوماته من اليونان والفرس غير أن الصبغة اليونانية غلبت عليه ، وفي مقدمة الأطباء العرب الحارث ابن كilde (٣) د وأصله من ثقيف من أهل الطوائف رحل إلى أرض

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٢ ط، محمد مطر

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٩٣ و ٤٩٤ ط . مصطفى محمد

(٣) القفطي : أخبار الحكماء ص ٩١١

فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية وقبل الإسلام ، وجاد في هذه الصناعة ، وقد أدرك الحارث الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه (١) ، ويطالغنا القفطى بخبر يؤكد ذلك في قوله : « أمر رسول الله (ص) سعد بن أبي وقاص بأن يأتيه فيستوصفه في مرض نزل به » (٢) . وقد بقي حتى أيام معاوية بن أبي سفيان .

ولقد كانت المادة الطبية التي احتكت بها العقلية العربية قد خرجت من أيدي أصحابها ، ونعتي بهم اليونان ، وتلقفها الدارسون والشارحون الذين يعرفون اليونانية والسريانية ، وشارك الأطباء السريان في هذه الدراسة بنصيب وافر ، وكان لهم دورهم في النقل والتوجه .

وقد اشتهر في العصر الأموي منهم ابن آثال . قال عنه ابن أبي أصيبعة : كان (٣) من الأطباء المتميزين في دمشق ، نصراني المذهب ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه ، وأحسن إليه ، وكان كثير الافتقاد له ، والاعتقاد فيه ، والمحاذثة معه ليلا ونهارا .

— انظر صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٥

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١

ص ١٠٩ و ١١٠

— انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٣٤٦

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٦

— يذهب عيسى معلوف إلى أنه لسطوري من الطوائف ص ٥ الأسر الطبية

(٢) أخبار الحكماء ص ١١٢ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١١٦

كذلك كان من أطباء بنى أمية أبو الحكم (١) الدمشقي ، وهو طبيب من أهل دمشق ، سيره معارفة بن أبي سفيان مع ولده يزيد طبيبا إلى مكة .

وفي عهد عبد الملك بن مروان اختص بخدمة الحجاج بن يوسف ثاودون (٢) وقياذوق (٣) الطبيبان . أما ثاودون فله كناش كبير عمله لابنه . وأما قياذوق (توفي سنة ٨٩٠ هـ) فقد كان أحد الأطباء السريان المشهورين ، وقد تلقى العلم على يديه تلاميذ أجلة كفرات بن شحناثا (٤) الذي خدم الحجاج وهو حدث ، وامتد به العمر حتى

(١) انظر تفاصيل أخباره وجهود أسرته في خدمة الدولة الأموية ثم العباسية عند القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٣ ، ٢٦٤

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١١٩

(٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٤

— القفطي : أخبار الحكماء ص ٧٩

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٢١

— القفطي : أخبار الحكماء ص ٧٤

— راجع طرفا من أخباره عند ابن قتيبة : عيون الأخبار ص ٢٧٠

— حرف الراغب الأصفهاني اسمه إلى ديسادوق . محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء ص ٢٠٣ ط . الشرفية

(٤) راجع ترجمته عند القفطي : أخبار الحكماء ص ١٦٩

— يذهب الدكتور أحمد عيسى في « التهذيب في أصول التعريب » إلى أن

فرات بن شحناثا سرياني اللغة يهودي المذهب

— انظر عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣

أدرك الدولة العباسية ، وعمل في صحبة عيسى بن موسى ولي العهد في أيام المنصور ، وكان يشاوره في كل أمر ينويه .

وفي أيام عمر بن عبد العزيز د ولد ٦١ هـ = ٦٨١ م — توفي سنة ١٠١ هـ = ٧٢٠ م ، زاد الاهتمام بالدراسات اليونانية ، ومن الذين شاركوا في ذلك عبد الملك بن أبجر السكتاني الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة د وكان طبيباً عالماً ماهراً ، وكان في أول أمره مقبلاً في الإسكندرية لأنه كان المتولى التدريس بها . . . فلما استولى المسلمون على البلاد ، وملكوا الإسكندرية ، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة ، وصحبه ، فلما أفضيت الخلافة إلى عمر ، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق في البلاد ، وكان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه في صناعة الطب . (١)

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١١٦

— انظر خودا بخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٣

— استبعد ماكس مايرهوف أن يكون عبد الملك بن أبجر رئيساً لإحدى المدارس في الإسكندرية في زمن الروم لأنه عربي مسيحي ولأن الدراسات اليونانية كانت حينئذ كلها في أيدي الأساتذة النصارى الذين كانوا كلهم من رجال الدين تقريباً ، ومن أجل هذا يجب علينا أن نخرج البيزنطيين من حسابنا ، وأن ننتقل بما يورده ابن أبي أصيبعة إلى العصر الإسلامي المتقدم .

— كذلك يرى أن أكثر الفروض احتمالاً أننا بازاء طبيبين يشتركان في

ومن الذين اشتغلوا بالترجمة في العهد الأموي الطبيب البصري
ماسرجوية أو ماسرجيس ، وهو سرياني (١) اللغة ، يهودى المذهب ،
وقد اعتقد العرب أن أصله سرياني (٢) . ولقد نقل من السرياني إلى
العربي (٣) ، وذكر القفطى أنه (٤) و تولى في أيام مروان في الدولة

== نفس الاسم ، عمل أولها طبيباً لعمر بن عبد العزيز ، بل وكان صديقاً له ،
ويستدل على ذلك بأن ابن أبي أصيبعة فى الترجمة السابقة على ترجمة ابن أبي
يورد اسم هذا الأخير على أنه ممن روى كلاماً يتعلق بابن أبي رمثة الذى
كان طبيباً فى عهد الرسول .

أما الثانى فقد اشتهر أيضاً بمعارفه الطبية ، وقد ذكر ابن حجر أنه توفى
بعد سفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١ هـ = ٧٧٨ م أى بعد عمر عمر بن
عبد العزيز بكثير .

— انظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٦٥

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١

ص ١١٦ ، ١١٧

— راجع ترجمة ابن أبي رمثة : القفطى أخبار الحكماء ص ٢٨٤

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٢

— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ٢٢٠

(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السرياني ص ١٧١

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٧

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١

ص ٢٠٤

(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢١٣

المروانية تفسير كتاب أهرن القس بن أعين إلى العربية ، ووجده عمر
ابن عبد العزيز في خزائن الكتب ، وأمر بإخراجه ووضع في مصلاه ،
واستنحار الله في إخراجه إلى المسلمين لينفع به ، فلما تم له في
ذلك أربعون يوما أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم ، وهذا على
عكس ما يذهب إليه الدكتور محمد كامل حسين في قوله (١)
« وكتب أهرن القس مقالاته الطبية التي يجمعها « كنش في الطب »
الذي ترجم إلى اللغة العربية بأمر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز » .
والدكتور التيجاني الماحي في قوله (٢) « إن ماسرجويه قولى لعمر
ابن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس فى الطب » . والاستاذ
عيسى معلوف فى قوله (٣) « إن ماسرجويه غرب كنش القس
أهرن بن أعين فى السريانية فى خلافة مروان بن الحكم بإشارة عمر
ابن عبد العزيز .

وكيفما كان الأمر فما لا شك فيه أن ماسرجويه نقل كنش أهرن ،
وكان ثلاثين (٤) مقالة ، فزاد عليها مقالاتين ، وبذلك يعتبر ماسرجويه

== راجع ابن أبى أصيبعة : عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء

١٥ ص ١٦٣

(١) الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بعمر

ص ٣١

(٢) الدكتور التيجاني الماحي : تاريخ الطب عند العرب ص ٤٦

(٣) الأستاذ عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٢

(٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء ص ١٠٩ ==

الكاتب (١) الأول لمؤلف علمي بلفظة الإسلام ، ولما مرجوية من
الكتب كتاب قوى الاطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير
ومنافعها ومضارها .

== ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٧

== القفطي : أخبار الحكماء ص ٥٧

(١) الدكتور فيليب حق : تاريخ العرب - ١ ص ٢٢٠

الفصل الثالث

موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة

تفسير الدلائل إلى أن العقلية العربية تقبلت الثقافات الأجنبية وسارعت إلى امتصاصها وتشربتها ، ثم نشطت مرة أخرى فبشت فيها من روحها ، وأظهرتها اللأ ، وبها من الزيادة ما يشهد لها بالفضل ، ويقر لها بالجميل . وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن التراث الثقافي الذي دخل في حوزة العرب ، والذي أوصلته إليهم المراكز الثقافية القديمة لم يتجمد على أيديهم ، وإنما توغرت له كل الظروف التي دفعت له ليلغ أقصى الطاقة . ويحقق غاية النمو . وعلى ذلك فالحضارة العربية الإسلامية في قاعها هي الحضارات الآرامية المتأثرة والإيرانية كما قررت تحت حاية الخلافة ، وعبر عنها اللسان العربي (١) .

ولقد تهيأت كل الأسباب التي أعانت العرب على ذلك : فالميراث الثقافي للأمم التي خالطتهم أصبح في متناول يدهم ، وكان الذهن العربي يتطلع بشوق دافق إلى التعرف على كل جديد ، كذلك كان لدى العقلية العربية الهاضمة الإمكانات والقدرات الفطرية التي جعلتها أهلا للقيام بدورها في هذا الموقف ، فأعان ذلك على سرعة الفهم والتعلم . كذلك توفرت القابلية للتطور في اللغة العربية ، فتأملت هذه الأبحاث العلمية ، وأمدتها بالألفاظ التي تسد حاجتها المتجددة .

(١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب ١ ص ٢١٥

ومن السهل في هذه المرحلة أن نتعرف على ماهية العلماء الذين أسهموا في التراث العربي لأنه حتى ذلك الحين كان العرب والاعرب منفصلين إجتماعيا وأنسابا (١) ، غير أن الأمر يجب أن يعطى على هذه النظرة ، ففاهيم الألفاظ تغيرت ، ولم تعد مدلولاتها المعهودة تدل عليها .

يقول فيليب حتى (٢) « منذ ذلك الحين أصبح لفظ العربي يطلق على كل من اعتنق الإسلام ، وتكلم باللسان العربي ، وكتب العربية بصرف النظر عن نسبه الجنسي ، وعلى ذلك فالطب العربي ، أو الفلسفة العربية ، أو الرياضيات (٣) العربية إنما يقصد بها مجموعة المعارف التي احتوتها الكتب التي كتبت باللغة العربية ، والتي كتبها رجال ازدهروا في عهد الخلافة في الغالب ، وسواء في ذلك أكانوا قد استمدوا معلوماتهم ومادة كتابتهم من المراجع اليونانية أم الآرامية أم غيرها »

وفي هذه الفترة ظهر جابر بن حيان (٨٣ هـ = ٧٠٢ م — ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م) واشتهر (٤) باشتغاله بالعلوم ولا سيما الكيمياء ، وله مصنفات

(١) راجع الدكتور حازم زكي نسيبه : القومية العربية ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) تاريخ العرب ١٣ ص ٣٩٩ ، ٣٠٠

(٣) انظر تفصيلا واسما حول الخلاف في التسمية « إسلامية أو عربية » عند مصطفى عبد الرازق في كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ط ٢ ص ١٦ — ٢٠

(٤) راجع قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ٩٨

ذكرها ابن النديم في الفهرست (١) ، وفند مزاعم من نسب شيئا كثيرا منها إلى غيره .

وقد اعتبر (٢) أبا للكيمياء الحديثة ، وقيل عنه أنه بلغ في الكيمياء ما بلغه أرسططاليس في علم المنطق ، ومن خلال أدغال الأساطير والخرافات التي نشأت حول شخصه وعمله ، نستطيع أن نقبين عقلا علميا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رآها أى من قدماء الكيمويين ، ودون آراء جد صائبة في أساليب البحث الكيموي . وقاثير جابر واضح في جميع سياق تاريخ الكيمياء في أوربا (٣) .

واقعد كان جابر بن حيان مع براعته في الكيمياء ، مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ، ومتقلدا للعالم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام ، (٤) .

وفيا عدا هذا النشاط العلمى كانت الدولة الاموية أقرب إلى من قبلها في السذاجة الصناعية ، فلم يكن لترجمة الكتب فيها حظ كبير ولا عظيم أثر ، (٥) ذلك لأن اهتمام الناس كان موجها في كليته إلى العلوم الدينية الإسلامية ، وكانوا ينظرون إلى العلوم التي تدرس في

(١) راجع ابن النديم : الفهرست ص ٥١٢ - ٥١٧

(٢) انظر الدكتور التيجاني الماحي : تاريخ الطب عند العرب

(٣) نجلاء عز الدين : العالم العربي ص ١٢

(٤) برقيلو : انظر إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربي ص ٦٥

— القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١

(٥) محاضرات فى تاريخ الامم الإسلامية للنخضرى ص ٢١٩

المراكز الثقافية على أنها علوم غير المسلمين بما أدى إلى انصرافهم عنها طوال القرنين الأول والثاني ، وظلت العناية بها قاصرة على أهل الذمة من النصارى واليهود على اختلاف مذاهبهم وتحملهم (١) .

ولقد أدى اختلاط المسلمين بالمسيحيين إلى ظهور الأفكار التي تقوم حول النقاش الدقيق بين المسيحية والإسلام .

يقول الفريد جيوم : إن مراكز الثقافة اليونانية الكبرى في سورية ومصر وبلاد ما بين النهرين وفارس انتقلت إلى العرب في خلال سنوات قليلة بعد وفاة الرسول ، وعلى ذلك كان من المحتم على المسلمين أن يكونوا على علم بطبيعة الفكر اليوناني ، وخاصة الفلسفة من خلال المناظرات والجدل الذي كان يحدث بينهم وبين رجال الديانات القديمة المتعددة ، وبسبب دخول الآلاف الذين كانوا يعيشون في ظل الإمبراطوريات القديمة في الإسلام (٢) ، كذلك لم يحس الناس بتردد في مناقشة الخلافات الدينية بحرية تامة ، وربما كان من المعقول أن نفترض أن مثل هذا الاختلاط جعل المسلمين الدمشقيين على صلة بالمعلومات العامة عن اللاهوت المسيحي والفلسفة (٣) ، وكان بما عرفوه الجدل الذي كان قد احتدم حول طبيعة المسيح قبل الإسلام بما كان سببا في ظهور النزعات الفلسفية .

(١) انظر في ذلك الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية

مصر ص ٦٣ .

(٢) الفريد جيوم : الإسلام ترجمة الدكتور محمد مصطفى هدارة ص ١٢٤

(٣) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢١٢

يقول جورج كيرك (١) د في أواخر عهد الأمويين ظهرت روح التحليل والتأمل في منطوق الأحاديث ، فكان ذلك بداية لتكوين علم الفقه الإسلامي ، فإن الاطلاع على الأبحاث المسيحية التي هي أقدم عهدا من الإسلام ، والتي أشربت كثيرا من روح البحث والاستقصاء اليونانية قد أفضت ببعض المسلمين إلى التعمق في النظر في أسس دينهم لما رأوه من شدة الإجمال ، أو احتمال الشبه التي لم يستطيعوا الاهتداء إلى حقيقتها من نصوص القرآن وحدها ، ويمضى جورج كيرك فيقول « وقد نمت هذه الروح الجديدة في الإسلام ما سبق أن عمل على تنبيه مثلها بين المسيحيين ، وهو الجدل المحتدم بين الطوائف المتنازعة في الرأي ، فاشتد النزاع في الإسلام بين الشيعة وأهل (٢) السنة » .

ولقد كان للفلسفة اليونانية دورها فيما ثار بين الفرق الإسلامية من نقاش فلم تكن دراستها قد توقفت ، وإنما ظلت قائمة في الأديرة والكنائس ، وكان الاهتمام واضحا بمنطق أرسطو حتى آخر الفصل السابع من التحليلات الأولى إلى آخر القياسات .

يقول أوليري (٣) د ولقد غزا العرب العراق عام ٦٣٨ م ثم بلاد الفرس ٦٤٢ م ، وفي خلال أسقفية مربا الثاني كانت العراق وفارس

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ العالم ص ٤٢

(٢) المرجع السابق ص ٤٢

(٣) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ١٠٤

تمت حكم خلفاء بني أمية في دمشق ، ومن هذا يبدو واضحا أن الفتح العربي لم يوقف دراسة فلسفة أرسطو ولم يتدخل في شئونهم ، فبقيت في السكينة الدستورية تحت الحكم العربي .

ويقول ابن كثير : إن علوم (١) الأوائل دخلت إلى بلاد المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم ، والمقصود بعلوم الأوائل هنا العلوم الفلسفية اليونانية .

وقد أشرنا فيما سبق إلى ما قرره ابن أبي أصيبعة (٢) من أن الحارث ابن كلدة الثقفي اطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة . ولكن هذا لا يعني أن المسلمين تقبلوا المباحث الفلسفية واهتموا بها ، بل لأنهم عزفوا عن دراستها وهجروها ، يقول حاجي خليفة : إن علوم الأوائل كانت مهجورة في عصر الدولة الأموية (٣) ، وهو يرى أن المسلمين كانوا يتهيبون دراستها : صونا (٤) لقواعد الإسلام وعقائد أهله عن قطرق الخلل قبل الرسوخ والاحكام ، كذلك يرى ابن كثير أن دراسة الفلسفة لم تكثر في المسلمين ، ولم تكتسب لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها (٥) . وصاعد الاندلس يقول : وأما علم الفلسفة فلم

(١) السيوطي : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٢

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١١٣

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤

(٤) نفس المرجع ص ٣٣

(٥) السيوطي : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٢

يمنحهم الله عز وجل شيئا منه ، ولا هياً طباعهم للعناية به (١) .

على أية حال لم تقبل العقلية العربية درس الفلسفة إما للحفاظ على الدين ، وإما لأن طبع العرب لم يكن قد تهيأ بعد لتقبل هذا العلم .

ولكن إلى جانب هذه الحقيقة يعود الباحث إلى ما أشار إليه منذ حين ، وهو أن الاختلاط الذى لم يكن مقيدا بين المسلمين والمسيحيين أتاح الفرصة للأثار الفلسفية من أن تنفذ إلى المسلمين . وفى وسعنا أن نقتين ذلك فى نشأة الفرق الإسلامية ، فلقد نفذت إليها المناقشات التى كانت مشار كثير من الجدل فى الفلسفة اليونانية وفى الديانة المسيحية (٢) ، وأحدثت أثرها فيها ، وكان من نتيجة ذلك أن أخذت الفرق الإسلامية اتجاهاتها منها .

يقول أولبرى د فى البصرة بدأت الدلائل الأولى على أفكار المعتزلة مع شواهد على الأثر القوى من تأملات الإغريق الفلسفية على علم الكلام العربى (٣) .

يقول دى بور د ولا شك أن مذاهب المتكلمين تأثرت بعوامل مسيحية أبلغ التأثير ، فتأثرت العقائد الإسلامية فى تكوينها بمذاهب المملكانية

(١) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥١

(٢) انظر علم الأخلاق لأرسطو ترجمة أحمد لطفى السيد ٢٦٥ - ٢٨٦

— إيران فى عهد الساسانيين : ترجمة يحيى الخشاب ص ٤١١

— تراث فارس : الفصل الخاص بالدين فى فارس ص ٢٠٠

(٣) أولبرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣١٩

واليعاقبة في دمشق ، كما تأثرت في البصرة وبغداد بالمذاهب الفسطورية والغنوسطية ، ولم يخلص إلينا إلا القليل من الآثار المكتوبة المتعلقة بتلك الحركة في أوائل نشأتها ، غير أننا لا نخطئ الصواب إذا قلنا إن إختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم في المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب في الشرق في تلك الأيام بالشئ الكثير ، بل كان الناس يأخذون عن أساتذتهم شفاهاً أكثر مما يتعلون من الكتب ، ونحن نجد بين مذاهب المتكلمين الأولى في الإسلام وبين العقائد المسيحية شهاً قوياً لا يستطيع معه أحد أن ينكر أن بينهما اتصالاً مباشراً ، وأول مسألة قام حولها الجدل بين علماء المسلمين هي مسألة الاختيار ، وكان المسيحيون الشرقيون يكادون جميعاً يقولون بالاختيار (١) .

ولعل في هذا ما يفسر نشأة فرقة القدرية متأثرة بهذه الأصول المسيحية . يقول المقرئى : « كان أول من قال بالقدر في الإسلام معبد ابن خالده ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى ، فتكلم في القدر بالبصرة ، وسلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله ، وأخذ معبد هذا رأى عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس فسفويه ويعرف بالأسوارى (٢) » .

ويقول ابن العبري إنه يمكن أن يكون مذهب القدر نتيجة للأثر المسيحي اليوناني ، والقدرية هم أقدم فرقة في الفلسفة الإسلامية ، ويمكننا أن

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٤٨ ، ٤٩ ؛

(٢) خطط المقرئى ص ١٨١

نعرف مدى انتشار آرائهم إذا عرفنا أن اثنين من الخلفاء الأمويين وهما معاوية الثاني ، ويزيد الثاني كانا قديرين ، (١) .

ويؤكد أبو الفرج الاصفهاني تلقى مذهب القدرية عن المسيحيين ، ولكنه يعود بزمان التلقى إلى العصر الجاهلي ، فيذكر أن أعشى بكر أخذ القول في القدر عن العباديين نصارى الحيرة ، لقنوه إياه حين كان يأتهم ليشتمى الخمر (٢) .

ويذهب الدكتور عبد الحكيم بلبع إلى أن ثمة روايات تعطينا حقيقة واضحة هي أن القول بالقدر انتقل إلى المسلمين بصفة مباشرة عن طريق الديانة المسيحية ، وأن فرقة القدرية التي تجمعت حول هذا القول ودانت به كانت مظهرا من مظاهر التأثير المسيحي في التفكير الإسلامي (٣) .

(١) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٠

— انظر تاريخ البعقوني ج ٢ ص ٤٠٢

— « إن أقدم أثر آرامي بلغ إلينا هو رسالة في القدر كتبها مارا بن سراييون الذي عاش في الجيل الأول أو الثاني للمسيح ، وقد كان فيلسوفا وثقيا ، أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ٤٠

— من المسيحيين الذين تكلموا في القدر برديسان ولد عام ١٣٤ م ، وتوفي ٢٠٢ م ، وقد أنكر القدر ، وقال بالحرية ، وقد بقى كتابه في القدر ، وقد طبع وترجم إلى عدة لغات أجنبية ، أدى شير : قوايخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢١٠ .

(٢) الأغاني : ص ٨ ط ٧٦ ط . القاهرة

(٣) أدب المعتزلة : ص ١٢٠ ، ص ١٢٣ وراجع قوله « فالقدرية أخذوا رأيهم في القدر عن أصل مسيحي ، والجممية أخذوا قولهم في نفى الصفات وخلق القرآن عن أصول مسيحية ويهودية » ص ١٢٢ من نفس المرجع

ثم يمد الباحث نظره إلى مذهب المعتزلة فيفرض عليه رأيه ، ويقرر أن نشأة المعتزلة لم تكن بعيدة عن تأثيرات اللاهوت المسيحي الذي كان منتشرا في بلاد المشرق ، كما أن مبادئهم كانت متأثرة بهذا اللاهوت (١) .

نحن نسلم بالمبدأ العام للتأثر ، فالظواهر الفكرية والحضارية لا يمكن أن تعيش في معزل عن تيارات المجتمع الأخرى ، ولكننا نبدى تحفظا حول نقطة البدء لهذه الأفكار ، والأصل الذي خرجت منه ، وقد يبدو هذا التحفظ من حيث الشكل هينا ، ولكنه في مجال البحث عن المنابع الفكرية قد يكون له شأنه . فما لاختلاف حوله أن النصارى (٢) الذين كانوا يعيشون في الشام في ظل الدولة الأموية قد أثاروا كثيرا من المناقشات الدينية ، وبخاصة في دمشق عاصمة الخلافة كما أشرنا إلى ذلك في أكثر من موضع ، فإذا أضيف إلى ذلك أن قصور الخلفاء كان فيها كثير من هؤلاء ، وكانوا يتولون مناصب كبيرة ، اتضحت خضوبة هذه المناقشات وأهميتها ، وأصبح من المحتمل أن نجد أشياء من الثقافة المسيحية قد تسربت إلى المسلمين ، ونصادف ظلالا لتعاليمهم تمتد لتبدو في آراء الفرق الإسلامية التي استمدتها في الأصل من مصادر إسلامية بحتة ، ونقصد بها القرآن والسنة .

ويبدو أن يحيى النحوى الذى كان يعمل هو وأبوه في قصر عبد الملك بن مروان قد حمل عبءا كبيرا في هذا المجال حيث نجد أنه قد

(١) الدكتور عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة ص ١٢٥

(٢) انظر أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٦ . مطبعة الاعتقاد

- راجع ص ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ من هذا الكتاب

وضع كتابا لنصارى يستهدون به في جدالهم مع المسلمين ، كما نجد (١) له أمرا كبيرا في كثير من الأبحاث اللاهوتية التي أفاد منها المعتزلة .

في هذا الإطار يجب الاتجاه إلى بحث الأثر المسيحي في الجانب الفلسفي من الفكر الإسلامي وبخاصة في هذه الفترة التي يتناولها البحث حيث لا مبالاة تجعل بذور هذا الفكر غريبة على المسلمين ، دخيلة عليهم ، ولا شطط ينفي عوامل التأثير ، وينكر مظاهر التأثير ، فلتن قالت القدرية بنفي القدر ، وحرية الإنسان وإرادته في أفعاله ، وأنه غير ، فإن القرآن قد اشتمل على آيات كثيرة ظاهرها الاختيار مثل قوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » (٢) ، وإذا قالت الجبرية بإثبات القدر وبأن الإنسان مجبر في أفعاله ، ولا اختيار له فيها (٣) ، فإننا نجد في القرآن آيات كثيرة تحمل هذا المعنى مثل قوله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة » (٤) .

لماذا إذن لا يكون البدء من هنا ؟ وما المانع في أن تكون هذه البذور الحية إسلامية الأصل ، ثم تهيأت لها الظروف فتما منها الفكر الفلسفي بعد أن تغذى بما استمدته من الجدل مع المسيحيين ومناقشاتهم ، وبما أخذه المسلمون عنهم .

(١) راجع أثر يحيى النحوى في المعتزلة فيما كتبه زهدى جابر الله في كتابه المعتزلة ، ص ٢٧

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١١٠

— جمال الدين القاسمي : تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٣

(٤) سورة النحل الآية ٢٩

كذلك إذا كان الكلام فى القضاء والقدر قد وجد فى الأديان بعامة ،
فليس من الصواب بعدئذ أن نعد كل ما جاء من هذه الأفكار فى
الإسلام نصرانى الأصل (١) ، وإنما الأمر كما ذكرنا ، فهى إسلامية فى
مصدرها ، أما المؤثرات التى تناولتها فقد صاحبته فى نشأتها ، وكان
لها دورها فى الوجبات التى اتجهت إليها ، ولعل الدكتور عبد الرحمن
بدوى يزيد أبعاد هذا الموقف إيضاحا بقوله : ليس لنا أن نلتمس
الأسباب التى دعت إلى نشأة هذه الفرق أو تلك الأخرى فى مذاهب
اليونانيين أو المذاهب الأجنبية ، وإنما الواجب علينا أن نلتمسها وما
قالت به من نظريات وآراء فى د كلفة ، الله نفسها أى فى القرآن ،
فمنه هو لا عن المذاهب الفلسفية اليونانية صدرت الفرق الإسلامية
المختلفة ، وكان البحث فيه هو نقطة البدء فى نشأة كل فرقة من الفرق ،
أما قائل الفرق بالمذاهب الأجنبية فكان لاحقا على نشأتها ، ويجب ألا
ينالى فى أهميته وأن يتجه الباحث إلى القرآن أولا يلتمس فيه هو وما
يجر إليه نصه من نظر وأبحاث أصول الفرق والآراء (٢) .

(١) راجع أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٣٤٦ مطبعة الاعتماد

(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية :
المقدمة ح .

الكتاب الخامس
حركة النقل في العصر العباسي

الفصل الأول

أسباب الترجمة

لما جاء العصر العباسي كان المسلمون قد أمعنوا في التمدن ، « ورأوا أن حياة الحضارة لا بد أن تستند إلى العلم ، فإلية الدولة تحتاج إلى حساب دقيق ، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج إلى أدوية مركبة ، وعلاج مركب » (١) وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين مازالت مركزا للثقافة ، ومصدرا للإشعاع العلمي ، كما كانت تخرج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخذت الأنظار تتجه إليها تسائلها العون ، وتناشدها المساعدة . وكان المنصور قد أدركه ضعف في معدته ، وأصابه سوء استمراء ، وعجز معالجوه عن مداواته ، فجمع الأطباء ، وقال لهم : « أريد من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما في عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور ، فإنه ماهر في الطب ، وله مصنفات جليلة ، فتقدم المنصور بإحضاره فأنفذه العامل بجنديسابور إلى حضرة الخليفة بعد ما امتنع عن الخروج ولم يزل جورجيس يتلطف له في تدبيره حتى برى المنصور ، وعاد إلى الصحة ، وفرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل » (٢) .

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٦٥

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١٠٩ ، ١١٠ ط . السعادة

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢١٤

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣

ط . الوهيبية

وقد ظل جورج جيس (١) في خدمة المنصور حتى تقدمت به السن ،
 وبني له مستشفى (٢) على طريقة مستشفى آل بختيشوع بجنديسابور (٣).
 وعندما جاء المهدي استقدم بختيشوع (٤) من جنديسابور ليعالج
 ابنه المهدي ، ولكن الخيزران عز عليها أن يستدعيه المهدي ، ولا
 يستطع أبا قریش طبيبها الذي كان يعرف بعيسى الصيدلاني ، (٥) فكان
 ذلك سببا في أن يعيده المهدي إلى جنديسابور .

وفي أيام الرشيد أصابه صداع شديد ، وعجز أطباؤه عن مداواته ،
 فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر وقال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء

(١) كان جورج جيس من السريانيين الذين ينتمون إلى طائفة النساطرة .

انظر إسرائيل ولفنسون : اللغات السامية ص ١٤٦

(٢) عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٨

(٣) « آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جدها هسدا سرياني بمعنى حفظ
 يسوع . ويروى أن لها بقية في بغداد وهم بنو غنيمة ، وفي الصالحية « آل الحكيم ،
 وفي دمشق آل لطفى وآل منهم .

عيسى معلوف : الأسر العربية المشهورة بالطب العربي ص ٦

س يرى ابن أبي أصيبعة أن معنى بختيشوع عبد المسيح لأن في اللغة
 السريانية البخت العبد ، وعنده أن البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد

من تعقيب ابن العبري في كتابه : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٤) انظر ترجمة بختيشوع عند القفطي : أخبار الحكماء ص ٧١

(٥) راجع أخبار عيسى الصيدلاني : ابن العبري : مختصر تاريخ

الدول ص ٢٢٠ .

كلهم ، وله يسمعون ويطيعون ، (١) وقد ذكر صاعد الأندلسي أن
د يحنشوع له تأليف في الطب معروفة ، منها كتاب التذكرة ، وقد
عمله لابنه جبريل ، (٢) . وبعد موت يحنشوع ، خلفه ابنه جبريل ،
وقد قام على علاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، كذلك برئت
جارية للرشيد بحيلة (٣) لطيفة استعان بها ، كما شفى الرشيد على يديه
من مرض ألم به بما دفعه إلى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه .

ولقد كان للنجاح الذى أحرزه هؤلاء الأطباء أثره فى المكانة التى
وصلوا إليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة ، كانوا يعظمونهم لقدر
علمهم لا لدينهم ، (٤) .

وقد ذكر القفطى أن يحيى بن خالد البرمكي أحب جبريل عندما عالجته
مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب (٥) ،
كذلك ذكر ابن أبى أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧

— انظر ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٢) صاعد الأندلسي : طبقات الأمام ص ٤٠

— انظر القفطى : أخبار الحكماء ص ٧١

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٤

— الحموى : ثمرات الأوراق ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٤) عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣

(٥) أخبار الحكماء ص ٩٣

— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٧

منه ، ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له إلى

حاجة فليخاطب بها جبريل لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى ، (١) .

وقد ظل جبريل على هذه المكانة العالية فى عهد المأمون ، فكان كل من

تقاد عملا لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلقى جبريل ويكرمه ، (٢) .

وكما عمل نجاح هؤلاء الأطباء على تقريبهم إلى الخلفاء . كذلك

استوعى الأنظار إلى ما كانوا عليه من علم غزير ، فأتجه الاهتمام إليه ،

وتولدت الرغبة فى الاشتغال به ، والبحث فيه ، ونقله إلى اللغة العربية .

يقول حاجى خليفه ، إن أول من عفى من العباسيين بالعلوم الخليفة

الثانى أبو جعفر المنصور ، (٣) ، وقد دفعته هذه العناية إلى أن يرسل

إلى إمبراطور بيزنطة يطلب منه ما لديه من الكتب اليونانية ، فأجابه

إلى طلبه ، وأرسلها له ، ومن بينها كتاب إقليدس ، (٤) .

وقد ذكر السيوطى ، أن المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب

السريانية والأعجمية باللغة العربية ، (٥)

وقد أسس الرشيد دار الحكمة ، كما أرسل رساله إلى

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٧

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ١٢٩

(٣) حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤

— انظر صاعد الأندلسى : طبقات الأمام ص ٥٥

— انظر ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٣٥

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١

(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٠

للإمبراطورية (١) الرومانية لطلب المخطوطات ، ووضع يوحنا بن ماسويه أمينا على ترجمتها .

ولما جاء المأمون ، كانت حركة الترجمة قد بلغت ذروتها من حيث النشاط والدقة ، فزاد الاهتمام بدار الحسكة ، وأرسل إلى د. ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلبا صاحب بيت الحسكة وغيرهم ، فأخذوا بما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل (٢) .

وضح إذن أن الحاجة الماسة المباشرة هي التي ألجأت الخلفاء العباسيين إلى استخدام أطباء جنديسابور للإشراف على علاجهم ، فلما تقدمت صحتهم ، وشفوا من أمراضهم ، عرفوا فضل الثقافة الأجنبية والنتائج الطبية التي يمكن أن تحققها لهم ، فشففوا بها ، وأقبلوا على تعريب كتبها .

يقول جوستاف جرونديباوم « كانت العلوم المختلفة في القرون الوسطى في الشرق والغرب تعالج برغبة واحدة أساسها حب المعرفة والاستطلاع ، وإن لم يكن من الضروري أن تلقى نفس الدرجة من الاحترام ، ويلوح أن العرب كانوا يبدون رشادا أعظم ، وتعقلا أمتن في اختيارهم لما

(١) راجع أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٠

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٣ مطبعة الاستقامة

— انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧

يدرسون من أمور (١) .

وإذا كانت الحاجة وحدها هي التي دفعت إلى نقل المعارف الطبية ، فإن الأمر نفسه قد حدث في ترجمة الكتب الفلسفية والمنطقية . لقد كان عزوف المسلمين عن ترجمة الكتب الفلسفية في صدر الإسلام واجتهاد الخلفاء في ألا يشيخ شيء منها مبنيًا على إحساسهم بأن بعض مبادئها قد لا تتفق مع المعتقدات الدينية ، وهم حديثو العهد بالإسلام .

يقول حاجي خليفة : كان المقصود من المنع هو إحكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام ، (٢) .

وحين جاء العصر العباسي كانت دعائم الإسلام قد ثبتت وقوطدت ، وأصبحت عقائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم ، فتغيرت المسكنة التي كان يضع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها .

لقد وجدوا أنهم في حاجة إلى البحث فيها ودراستها ، والتزود بما تتيحه من وسائل في الجدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم ، والدفاع عن الإسلام .

يقول هموده غرابية : حين وجد المعتزلة الفساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الإغريقية التي عرفوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية ، رغبوا هم أيضا في أن يتسلحوا بها ، فاستعانوا بالمنصور في ترجمة المنطق الأرسطي ، وهكذا كان المنطق أول علم من علوم

(١) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ١٤

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤

الفلسفة بمعناها الضيق حصل له اشتباك بعلم الكلام الإسلامى (١) .
وقد تنبأ القدماء إلى هذا الاتجاه ، يقول المقرئى : أقبلت المعتزلة
والقرامطة والجهمية وغيرهم عليهم ، كتب الفلاسفة ، وأكثروا من
النظر فيها ، والتصفح لها ، (٢) .
ويقول صاعد الأندلسى : إن أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة
علم المنطق والنجوم ، (٣) .

ويذكر هنريش بيكر أن الإسلام تعرض فى هذا العهد إلى هجمات
الغنوص ، وفى هذا العهد استعان الإسلام بالفلسفة اليونانية ، وعنى
بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية يشبه عالم العصر المدرسى فى أوربا
فى المصور الوسطى ، فكان الإسلام الرسمى قد تحالف إذا مع التفكير
اليونانى والفلسفة اليونانية ضد الغنوص الذى كان خليطاً من المذاهب
القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص ، (٤) .

ومن هذا يتبين أن الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعان بها المسلمون
بعمامة والمعتزلة بخاصة فى نصرة الإسلام ، ويؤيد ذلك تأكيد ما يذكره
الخطيب فى قوله : « ولقد أخبرنى عدد من أصحابنا أن لإبراهيم النظام
رحمه الله ، قال وهو يجود بنفسه : اللهم إن كنت تعلم أنى لأقصر فى

(١) حمودة غرابة ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٢٦

(٢) المقرئى : خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٥٧

(٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٦

(٤) هنريش بيكر : قرات الاوائل فى الشرق والغرب . ترجمة الدكتور

عبد الرحمن بدوى ص ١١

نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهباً من المذاهب اللطيفة إلا لأشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف ، فأنا منه برى ، اللهم إن كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت ، (١) .

ولقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد عبده فى قوله « تفرقت السبل بأقباع واصل ، وتناولوا من كتب اليونان مالاق بعقولهم ، وظنوا من التقوى أن تؤيد العقائد بما أثبتته العلم » ، (٢) .

ولعل هذه النقطة التى انتبهنا إليها تزداد وضوحاً لو أننا عدنا إلى دراستها دراسة جذرية تستهدف التعرف على طبيعة المواقف المماثلة وما تؤدى إليه من نتائج متشابهة ، إذ أن محاولة تطبيق المبادئ الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر العباسى ، كذلك لم يكن المسلمون هم أول من حاولوا التوفيق بين العلم والدين ، فلقد شغلت هذا المسائل جانباً كبيراً من تفكير اليهود والمسيحيين قبلهم ، « ولقد كان أفلاطون وأرسطو قد سادا على كل تفكير منظم ، وما كان بد من تأسيس فلسفة يهودية ، وفلسفة مسيحية ، ثم بعدئذ فلسفة إسلامية للتوفيق بين العقل والدين » ، (٣) .

ولقد حاولت الفلسفة اليهودية ذلك فى الإسكندرية على يد فيلو ، وفى القرن الخامس ثار نقاش حول شخصية المسيح ، مهد السبيل إلى

(١) الخياط : الانقصار ص ٤١

(٢) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ١٥

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق ترجمته محمد يوسف

إشاعة المعرفة بكثير من المشكلات الفلسفية ، ذلك لأن فلسفة أفلاطون وأرسطو ، هي التي كانت توجه المناقشات التي أثارها في الكنيسة آريوس ونسطور ويوتيجيس وآخرون ، كما أنها هي التي اقترحت المسائل التي بحثت ، كذلك كانت الحلول التي خرج بها المتناقشون بمشابهة نتائج لهذا التناول الفلسفي ، (١) .

وليس من شأننا هنا أن نخوض في ذكر المذاهب الدينية التي ثارت حولها هذه المناقشات ، ولكن هذا لا يعني أننا لانعطىها أهميتها ، أو نقلل من شأنها ، فقد يكون من اليسير على الباحث الحديث أن يسخر من هذه المناقشات العنيفة التي دارت حول تفصيلات التوحيد الفلسفي ، ولكن الأساس الحقيقي لهذا الموضوع كان يقوم على مشكلة التوفيق بين العلم والدين ، وقد ذهب قادة الكنيسة إلى أن هذا يستطاع ، ويجب أن يحدث ، فإذا كان العلم - كما كان يفهم في هذه الفترة - والدين كلاهما صحيح ، فإنه ينبغي أن يتفقا في كل الاحتمالات ، وتجسد الله في المسيح ينبغي أن يخضع للدرس العلمي ، وكان المفروض حينئذ أن العلم هو الضاية ، ولم يكن يشك أحد في هذه الأيام أن المعرفة العلمية جزئية متزايدة (٢) .

ويميننا هنا إلى جانب بيان أن المسيحيين حاولوا التوفيق بين العلم والدين في مناقشاتهم حول شخصية المسيح أن نشير إلى أنه وربما كانت أبرز نقطة هي اتخاذ المنطق الأرسطي وسيلة للبحث والمناظرة ، ومع

(1) O'Leary : How Greek science passed to the Arabs P 45

(2) O'Leary : Arabia before Muhammad P131.

أن الطوائف المسيحية اختلفت في عقائدها إلا أنها كلها قد قبلت منطق أرسطو كطريقة تستخدم في البحث والجدل (١) ، كذلك استعمات المسيحية بالفلسفة في رد آراء المعترضين عليها حتى أننا انرى سمات التفكير الفلسفى عند كثير من القساوسة . ولقد عرض لذلك أ. وولف فقال : « وجدت المسيحية لكي تصمد حملات النقاد المهاجمين من المستحسن أن تستخدم شيئا من الجدل الفلسفى ، ومن هذا كانت الكتابات المؤيدة للمسيحية التى كتبت في عصر آباء الكنيسة مصبوغة بشيء من الأفلاطونية ، وبعض مذاهب الأفلاطونية الحديثة كالكلمة ، وزيادة على هذا كان بعض القساوسة الأولين وخاصة سانت أوجستين (٣٥٤ - ٤٣٠ م) مفكرين وثنيين قبل أن يصيروا مسيحيين مؤمنين ، ولم يستطيعوا التخلص كلية من مناحيهم الفلسفية » (٢) .

وحين أراد السريان الذين كانوا يمدشون في منطقة النفوذ الفارسى نشر المسيحية بالشكل النسطورى « كان لا يمكنهم ذلك طبعا بغير مساعدة العلم النظرى ، والفلسفة اليونانية ، فلسفة أرسطو وأفلاطون ولا سيما منطق أرسطو الذى هو الاداة الثمينة للجدل والمناظرة ، فتحتم على كل مبشر منهم أن يكون ذا علم وإلمام بفلسفة اليونان ، (٣) بل إن كل مبشر أصبح معلما للفكر الارسططاليسى الحديث الذى تقوم عليه المناقشات ،

(1) O'Leary : How Greek science passed to the Arabs P46.

(٢) أ وولف : عرض تاريخى للفلسفة والعلم ص ٤٥ - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف .

(٣) الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في أصول التعريب ص ٧٢

والذى بدونيه لا يستطيع فهم مرماها بما أدى إلى قيام حركة نقل كبيرة تستهدف ترجمة كتب أرسطو وغيرها من كتب الفلسفات والرياضيات .

وجدنا إذن أن الفلسفة طبقت على الدين قبل الإسلام ، كما استخدم المنطق في الجدل الدينى ، وعرف المسيحيون بوجه خاص أهميته فى نصرة آرائهم . فلما جاء العصر العباسى واحتدم النقاش بين الفرق الإسلامية ، أقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم على كتب الفلاسفة ، وأكثروا من البحث فيها ليستعينوا بما فتحة لهم من ثقافة ومعرفة فى مناقشاتهم ، وفى ردهم على خصومهم من أهل الأديان الأخرى ، ولم يكن الاطلاع على هذه الكتب ميسراً لعدم معرفة هؤلاء باللغة اليونانية ، لذا كان عليهم أن يعتمدوا على الترجمات التى يقوم بها من يقدر عليها .

يقول الدكتور إبراهيم العدوى د وما يجدر بالملاحظة فى هذا الصدد أن معظم الذين اضطلعوا بترجمة الكتب اليونانية كانوا من السريان أى المتكلمين باللغة الآرامية الشرقية ، (١) .

ويقول دى بور د والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعا يكونون من السريان ، ونقلوا ما نقلوه إما عن التراجم السريانية القديمة ، أو عن تراجم أصلحوها ، أو قاموا بها من جديد ، (٢) .

ويقول جويدى د ومن الجيل الثانى للهجرة إلى الرابع نقلت كتب اليونان إلى السريانى ، ومن السريانى إلى العربى لأن السريان كانوا

(١) الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٧٠

(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٨

يتعلمون اليونانية والعربية في مدارسهم ، ولقد كان للسريان اليد الطولى في هذا النقل ، (١) .

رأينا أن الرغبة في سلامة الأبدان ، ونصرة الدين هي التي دفعت إلى نقل المعارف الطبية والفلسفية . وبما يؤكد ذلك ، أن هذه الحركة العلمية والأدبية لم تستغل الأدب اليوناني كما استغلت العلم اليوناني والفلسفة اليونانية استغلالا كبيرا ، فلم ينقل المسلمون ملاحم اليونان ، ولارواياتهم التمثيلية ، ولا شعرهم ولا سائر فنونهم الأدبية ، (٢)

وقد علل البعض ذلك (٣) ، بأن المسلمين لم يتذوقوا الأدب اليوناني لبعده عن الذوق العربي ، ولأنه ملوئ بالآلهة التي تنفر منها عقيدتهم ، ولأن البيئة اليونانية الاجتماعية التي أنتجت أدبهم بخالفة تمام المخالفة للبيئة الإسلامية مما يجعل تذوقه عسيرا .

ولكن هذه الأسباب مجتمعة ما كانت لتستطيع أن تسد المنافذ دون هذا الأدب لو أن المسلمين في هذه الفترة أحسوا بحاجة ما إليه .

والواقع أن السبب الذي حال دون ترجمة الأدب اليوناني يتركز في إحساس العرب الفطري بتفوقهم في مجال البيان ، وشعورهم بأنهم دون سواهم قد أوتوا الامتياز في الشعر ، فهم ليسوا في حاجة إلى أدب غيرهم .

يقول الجاحظ . : وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من

(١) جويدي : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ١٠

(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الأدب في العالم ج ١ ص

(٣) المرجع السابق .

تكلم بلسان العرب ، والشعر لا يستطيع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل (١) ، ولم تقم حركة الترجمة استجابة لدافع الحاجة الملحة وحده ، وإنما كانت هناك أسباب أخرى استحثت المسلمين على الاشتغال بها ، فقد كانت اللغة العربية تنتشر بانتشار الإسلام ، وحين جاء العصر العباسي كانت قد تغلبت على ألسن أهل البلاد التي دخلت فيها ، وأصبحت لغة الإلشاء والتأليف .

يقول نالينو : « إن وحدة الدين استوجبت أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة في التمدن الإسلامي الجديد » (٢)

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء في العصر العباسي إلى العلوم الفلسفية ، « والخلفاء عادة أقدر على التوجيه فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون إلى تحقيق أغراضهم ، والولوع بها أولعوا به » (٣) .

يقول ابن خلكان « كان المأمون مغرما بتمريب الكتب وتحريرها وإصلاحها » (٤) .

ويقول صاعد الأندلسي « لما أفضت الخلافة إلى عبد الله المأمون طمعت نفسه الفاضلة إلى إدراك الحكمة ، وسمت به همته الشريفة إلى

(١) الجاحظ : الحيوان ج١ ص ٧٤

(٢) نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٦٦

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٣٠٩

الإشراف على علوم الفلسفة » (١) .

ويقول صاحب فوات الوفيات : لما كبر المأمون عني بعلوم الأوائل
ومهر في الفلسفة » (٢) .

ويقول الدكتور أحمد الرفاعي : إن هذا الميل إلى الفلسفة والمنطق
عند المأمون كان من آثاره حركة نقل وتآليف عنيفة قوية (٣) ، ولقد
قولد ميل الخلفاء إلى الفلسفة من الظروف التي لا يستلزمها نشاطهم وحياتهم .
فالرشيد تلقى ثقافته في مرو موطن الدراسات الرياضية والفلكية ، وكان
يستوزر جعفر بن برمك الذي كان يشجع الترجمة ، ويعين المترجمين من
أمثال جبريل بن بختيشوع ، كما تربى المأمون في بيت الرشيد وبإشراف
البرامكة ، ويذكر أوليري : أنه لكون المأمون تلقى ثقافته في مرو في
محيط الهلينية المحدثه طبق القواعد الفلسفية على العقائد الإسلامية (٤) .

وقد أولع أهل ذلك العصر بما أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على
تنشيط حركة النقل والترجمة ، وومن عني بإخراج الكتب محمد وأحمد
بنو موسى بن شاكر ، وهؤلاء القوم ممن قنأه في طلب العلوم القديمة ،
وبذل فيها الرغائب ، وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا إلى بلد الروم

(١) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٥٨

— انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ص ٣٤

— انظر ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

(٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩

(٣) الدكتور أحمد الرفاعي : عصر المأمون ص ٣٧٨

(٤) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٣

من أخرجها إليهم ، فأحضروا النقلة من الاصقاع والأماكن بالبذل
السني ، فأظهروا عجائب الحكمة ، وكان الغالب عليهم من العلوم :
الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم (١) ، وبلغ من اهتمامهم
بأمر الترجمة أنهم كانوا « يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن
اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم في الشهر نحو
خمسة دینار للنقل والملازمة ، (٢) .

وإذا كانت دوافع الترجمة قد اضمحلت لنا فيما عرضنا له من أسباب ،
فإنه يكون من حقنا ألا نقنع بما يسوقه صاحب الفهرست وهو يفسر
اندفاع المأمون في ترجمة الكتب اليونانية فقد قال : « لأنه رأى في
منامه رجلا أبيض اللون ، مشربا حمرة . . . جالسا على سرير . قال
المأمون : وكأنني بين يديه قد ملئت له هبة . فقلت من أنت ؟ قال
أنا أرسطاليس ! ، فسررت به وقلت : أيها الحكيم ! أسألك ؟ قال :
سل . قلت : ما الحسن ؟ قال : ما حسن في العقل . قلت ثم ماذا ؟

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٢ و ٢٩٣ مطبعة الاستقامة

— انظر أيضا ص ٣٥٣ من نفس المرجع

— القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٠٨

— تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٥٢

— ابن الهيثم : مختصر تاريخ الدول ص ٢٩٤

— جوستاف جرونبيوم : حضارة الإسلام ص ٧٧ ، ٧٨

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ مطبعة الاستقامة

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٧

قال : ما حسن عند الجمهور . قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب (١) .

وقد ترددت هذه الرواية عند كثير من المؤلفين القدماء (٢) والمحدثين مع تغيير في بعض الالفاظ .

وتأثر جوستاف جرونياوم بهذه الرواية . فذكر أن المأمون بعد أن رأى هذا المنام عزم على طلب الكتب من الإمبراطور ، فوافق الإمبراطور على الطلب بعد شيء من التسويف ، وعند ذلك أرسل المأمون بعض العلماء إلى القسطنطينية للحصول على المخطوطات ، وأرسل فيمن أرسل سلما صاحب دار الحكمة (٣) .

هذا المنام لا يرقى في نظرنا إلى أن يكون سببا يدفع المأمون إلى الاهتمام بأمر الترجمة ، فهو بعيد عن الحقيقة . ومن المستحيل ألا يسمع المأمون باسم أرسطو حتى يأتيه في المنام ويقول له أنا أرسطو (٤) ، وفضلا عن ذلك فإن هذه الرواية تحتل الصدق والكذب (٥) .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٣ مطبعة الاستقامة

(٢) راجع القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٦

— انظر الدكتور أحمد الرفاعي عمر المأمون ص ٣٧٨

(٣) جوستاف جرونياوم : حضارة الإسلام ص ٧٧

(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٦٨

(٥) جريدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٩

الفصل الثاني

مبادئ الترجمة والعاملون فيها

أشرت من قبل إلى أن حركة النقل والترجمة بدأت في عهد المنصور من اليونانية والسريانية ، وينقسم تاريخ هذه الحركة إلى ثلاثة أدوار .

الدور الأول : من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد (١٢٦ — ١٩٣ هـ) ومن قاموا بالترجمة فيه يحيى بن البطريق وجورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماسويه .

الدور الثاني : من ولاية المأمون سنة ١٩٨ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ ومن اشتهروا فيه : قسطنطين لوقا البعلبكي ، وحنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين ، وثابت بن قرة ، وحليش بن الحسن .

الدور الثالث : من سنة ٣٠٠ هـ إلى منتصف القرن الرابع ومن مؤرخيه متى بن يونس . وسنان بن ثابت بن قرة ، ويحيى بن عدي وأبو علي بن زرعة .

غير أن هذا التقسيم يجب ألا يعنى أن هناك حدودا فاصلة توضع البداية والنهاية لكل دور ، فالظواهر الفنية ، والحركات الأدبية متداخلة متشابكة ، وفضلا عن ذلك فإننا نجد الكثيرين ممن قاموا بالترجمة والنقل قد عاصروا أكثر من دور من تلك الأدوار . فيوحنا بن ماسويه (١) مثلا قد خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

(١) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥

والآن نعود الى تفصيل القول في حياة المترجمين ، وجهودهم في حركة النقل .

يوحنا بن البطريق : عاش في أيام المنصور ، واختلف في تاريخ وفاته فيما بين عام (٧٩٨ م وعام ٨٠٦ م) ، وكان ممن يقرأ عليهم كتاب إقليدس ، وغيره من كتب الهندسة ، وله نقل من اليونان (١) ذكره القفطي فقال « كان أميناً على الترجمة ، حسن التأدية للمعاني ، لكن اللسان في العربية ، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب ، وهو قولي ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة ، وترجم من كتب بقراط مثل حنين (٢) وغيره ، ومن الكتب التي نقلها كتاب الأربعة في علم النجوم (٣) » استخرجه في أيام المنصور ، ثم نقله ثمانية لإبراهيم بن الصلت ، وأصلح هذه النسخة حنين بن إسحاق .

ويرى أوليري (٤) أن يوحنا وضع ترجمة عربية لمؤلف في الشنجيم لبطليموس ، وقد كتب عمر بن الفرخان المثنوي حوالي ٨١٥ م تعليقا على هذا الكتاب ، وشرحه محمد بن جابر بن سنان ٩٢٩ م . وربما كان هذا هو كتاب الأربعة في علم النجوم .

ويروى أن يوحنا بن البطريق « أخرج قصة طيماوس لأفلاطون ،

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٠٧ مطبعة الاستقامة

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤٨ مطبعة السعادة

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٩

(٣) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ١١

(٤) أوليري : مسائل الثقافة الإغريقية لدى العرب ص ٤٧ وانظر ص ٢٣٩

وأفنه ترجم أيضا كتاب أرسطو في الآثار العلوية وكتاب الحيوان ،
ومختصرا له في النفس ، (١) .

جورجيس بن جهرايل (٢) : عاش في صدر الدولة العباسية ، يقول
عنه ابن أبي أصيبعة أنه « أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية إلى اللسان
العربي عندما استدعاه المنصور ليعالجه (٣) » من ضعف أدركه في
معدته وسوء استمراره ، وقلة شهوة ، وقد برى المنصور على يديه ،
وعادت إليه صحته ، ففرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب إلى كل
ما يسأل (٤) .

وقد نقل جورجيس للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى
العربية ، وقد عرف من كتبه كناشه (٥) ، ونقله حنين ابن إسحاق من
السرياني إلى العربي .

ولقد كان نجاح جورجيس في علاج المنصور دافعا للخلفاء العباسيين

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٢
— أشار القفطى إلى ترجمته لهذه الكتب بقوله « ولا بن البطريق جوامع هذا
الكتاب « الآثار العلوية » « كتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة نقله ابن
البطريق ، أخبار الحكماء ص ٣١

(٢) انظر ترجمته : ابن النديم الفهرست ص ٤٢٦
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٣
— أنظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥
(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٠
(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٥

على أن يستقدموا أفراد أسرته لكي يباشروا علاجهم ، ومن أفراد هذه الأسرة ونعتى بها أسرة آل بختيشوع الذين وفدوا إلى بغداد .

بختيشوع بن جورجيس (١) : وله تأليف في الطب ، منها كتاب التذكرة وقد عمله لابنه جبريل .

وجبريل بن بختيشوع : وقد اهتم بأمر الترجمة إلى العربية كما شجع تهذيب الترجمات السريانية .

يوحنا بن ماسويه (٢) (توفي ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م) وكان ممن قدموا من جنديسابور ، ومن هذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والاساقفة قد ذهبوا إلى قصور الخلفاء في بغداد أو سرمن رأى ، (٣) .

وكان يوحنا سريانيا نسطوريا ، وقد ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدت بأفقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتاحها المسلمون ، وسبوا سبيها ، ووضعه أمينا على الترجمة ، ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه ، (٤) .

وقد أقام يوحنا مستشفى في بغداد ، كذلك جعله الخليفة المأمون في سنة ٢١٥ هـ = ٢٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة .

(١) راجع أخباره . القفطي : أخبار الحكماء ص ٧١

— صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٠

(٢) راجع ترجمة ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ ، ٤٢٦

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٦ .

(٤) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤٩

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥

وقد ألف يوحنا كتباً كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتاباً (١) منها كتاب البرهان وكتاب دغل العين . وعربية هذا الكتاب ركيكة مع استعمال اصطلاحات إغريقية وسريانية وفارسية « (٢) .

وكان يوحنا « يعقد مجلساً للنظر ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ، ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون (٣) » وقد تقلد عليه حنين بن إسحق فترة من الزمان .

قسطنطين بن لوقا البعلبكي « توفي حوالي ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م » : مسيحي النحلة ، من أصل يوناني . ولذا يعد (٤) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان له ولع بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهراً في الطب .

وقد ذكر ابن العبري أنه « دخل إلى بلاد الروم ، وحصل من تصانيفهم الكثيرة ، وعاد إلى الشام (٥) » كما ذكر القفطي أنه « استمدعى

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤٩

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٣

— ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

— ماكس مايرهوف : العشر مقالات في العين : المقدمة ص ٦

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧

(٤) صاعد الأندلسي : طبقات الأئمة ص ٣٠

(٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٩

— القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤

إلى العراق ليترجم كتبها ويستخرجها من لسان يونان إلى لسان العرب (١) ،
كما أسند إليه الإشراف على ترجمة المراجع الإغريقية في بغداد (٢) .
وكان قسطا جيد النقل لأنه كان د فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة
العربية (٣) ، ويشير ماكس مايرهوف إلى ما نقله فيقول د إنه ترجم
كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم إلى جانبها
مؤلفات فلسفية صحيحة أو منقولة (٤) .

وقد أصاح (٥) قسطا نقولا كثيرة ، كما ألف د رسالة قصيرة في
الفرق بين النفس والروح ترجمت إلى اليونانية ، وبقيت إلى أيامنا ، وقد
ذكرها الباحثون وانتفعوا بها (٦) .

حنين بن إسحق (ولد سنة ١٩٤ هـ = ٨١٣ (٧) وتوفي ٢٦٠ هـ =

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٧٣

(٢) راجع الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية والإمبراطورية الروم
ص ١٧٠

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٤

(٤) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٩

(٥) راجع ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٤٤

(٦) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٤

— وردت هذه الرسالة ضمن مذكره له القفطى من الكتب. أخبار الحكماء

ص ١٧٣

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ ويقعده في ذلك القفطى : أخبار الحكماء

ص ١١٩

— أبو الفدا : ج ٢ ص ٥٢

— ولكن ابن أبي أصيبعة يحمل وفاته ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م عيون الأنباء في

==

طبقات الأطباء ج ١ ص ١٩٠

٨٧٣م) وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة ، وكان يشتغل بالصيدلة قلباً نشأ حنين أحب العلم ، ودرس الطب في مدرسة جنديسابور ، وحضر مجالس يوحنا بن ماسوية في بغداد (١) ، غير أن يوحنا أنكر عليه تعلم الطب لأنه من أهل (٢) الحيرة ، ولأن هؤلاء الجنديسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ، ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم (٣) ، ويرى ماكس مايرهوف أن حنيناً كره من أستاذه ماجبل عليه من

= — ويرجح رأيه ماكس مايرهوف في مقدمة (كتاب العشر مقالات في

العين) ص ٢٧

— ولكن أولرى يرى أن ابن أبى أصيبعة في الغالب غير دقيق في ذكر التواريخ . مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠

— يرى أولرى أن حنيناً حضر في شبابه محاضرات ابن ماسوية في جنديسابور . مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

(٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

— اقرن ذلك بقول ظهور الدين البهيمى عن حنين ، وكان بغدادى المولد وقد نشأ بالشام وتعلم بها . تاريخ حكماء الإسلام ص ١٦

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠

— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٥

— تم صلح بين حنين وبين يوحنا بن ماسوية بعد ذلك . أولرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

— راجع صلة حنين بعد نبوغه بابن ماسوية والكتب الكثيرة التي نقلها له

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٦

غطرسه وكبرياء (١) ، وصمم على تعلم اللغة اليونانية لأنه رأى فيها خير مساعد له على إرواء غلته من الثقافة الطبية ، وقد اندفع بقوة في هذا الاتجاه حتى أنه دبرى من دين النصرانية إن رضى أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني لإحكاما لا يكون في دهره من يحكمه لإحكامه (٢) ، فسافر إلى بلاد الروم (٣) وهناك د أحكم اللغة اليونانية وتوصل في تحصيل كتب الحكمة غاية إمكانه (٤) .

وكما تعلم حنين اللغة اليونانية بإحساس من الحاجة إليها ، كذلك نجد أنه د وهو أحد أبناء الحيرة اضطر إلى تعلم العربية في وقت متأخر من من حياته حيث كانت الطبقات الدنيا في الحيرة تتكلم السريانية ، (٥) فقصد البصرة وكانت في ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية

-
- (١) ماكس مايرهوف : مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ص ١٥
 - (٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الألباء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٥
 - القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠
 - (٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٩
 - أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦
 - (٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .
 - اقرن ذلك بقول ماكس مايرهوف عن حنين أنه أمضى في مكان مجهول سنوات عدة سدى فيها اللغة اليونانية ، .
 - مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥ .
 - (٥) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٩٩ .

وملتقى أقطابها ، يقصدها الطلاب من كل حدب ليهذقوا ويفهموا (١) .
 وهناك لزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي ، (٢)
 وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربعة هي (٣) الفارسية واليونانية
 والعربية والسريانية التي هي لغته الأصلية . ولقد أضافه ذلك على أن
 ينقل الكتب إلى السرياني وإلى العربي .

وهو إلى سنة ٢١١ هـ اتصل حنين بجبريل بن بختيشوع طبيب المأمون
 فامتدح ذكاه . قال يوسف الطيب دخلت يوما على جبريل بن بختيشوع
 فوجدت عنده حنينا ، وقد ترجم له بعض التشريح وجبريل يخاطبه
 بالتبجيل ويسميه الرهبان ، فأعظمت ما رأيت ، وقين ذلك جبريل مني ،
 فقال لي لا تستكثر هذا مني في أمر هذا الفتى ، لئن مد له في العمر ليفضحن
 سرجيس (٤) . وسرجيس هذا هو الرأس عيني من نقل علوم اليونانيين
 إلى السرياني .

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١١٨

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

— أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

— من المؤرخين من يرى أن الخليل بن أحمد كان بأرض فارس فلزمه

حنين حتى برع في لسان العرب

— انظر في ذلك صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤٠

— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٥

(٣) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٥

(٤) راجع ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

— انظر القفطي : أخبار الحكماء ص ١٢٠

ولقد بلغ من سرور جبريل بحنين وإعجابه بروعة ترجماته أن قدمه لابن ساء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء ، يقول القفطى فيهم : وعن عني بإخراج الكتب من بلاد الروم محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم . وقد بذلوا في ذلك الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب وغيرها (١) ، فاحتضنه هؤلاء ، وكانوا أصحاب الفضل في إظهار مواهبه كما كانوا يجذلون له العطاء وقدموه (٢) بدورهم إلى الخليفة المأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة (٣) .

ويذكر ابن أبي أصيبعة : أن المأمون أحضره ، وكان قتي وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربى وإصلاح ما ينقله غيره ، فامتثل أمره (٤) ، وقام بما أسند إليه خير قيام ، وظل يوالى النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) .

يقول ابن العبرى : ولم يزل أمره (حنين) يقوى وعليه يتزايد وعجائبه تظهر فى النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم ، ومعدنا للفضائل ، واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر بإحضاره (٥) واختاره للترجمة واثمنه عليها ، وجعل له كتابا بحارير عالمين بالترجمة كانوا

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤

(٢) راجع أولرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

(٣) ماكس مايرهوف مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٦

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء

(٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١

يترجمون ويتصفّح ما ترجموا (١) .

ولقد كان ميل حنين إلى الطب وممارسته (٢) له دافعا له على أن يتم « بنقل الكتب الطبية وخصوصا كتب جالينوس حتى أنه في أغلب الأمر لا يوجد شيء من كتب جالينوس إلا بنقل حنين أو بإصلاحه لما نقل غيره » (٣) كاصطف بن بسيل ، وموسى بن خالد ، ويحيى بن هارون . ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن حنيننا ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وعشرين كتابا ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين (٤) .

كذلك ذكر أنه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها إليها لعلماء النصراني وأطبائهم ، بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها إليها لعلماء المسلمين (٥) .

ويذكر سويتمان (٦) أن حنيننا كان يترجم إلى اللغة السريانية ، ثم ينقل ابنه إسحق ما يترجمه إلى اللغة العربية .

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعيدة

— النظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٩

(٢) راجع قصته مع المتوكل فى المرجع السابق ج ١ ص ١٨٧ .

— ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣٥١ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٨٨

— نفس المرجع ص ٢٠٠

(٤) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٨

(٥) نفس المرجع : ص ٣٧

(6) Islam and Christian Theology. V. 1 p 88.

ويقرر أوليرى د أن بعض ترجمات حنين قد تفحصها فيما بعد كتاب متأخرون (١) ، ، .

والواقع أن هذا المسلك قد يشير الشك في معرفة حنين باللغة العربية . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى د كان يغلب عليه د حنين ابن إسحق ، أن يترجم من اليونانية إلى السريانية ، ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية إلى العربية ، وهو أمر غريب حقا لأن حنين ابن إسحق كان يتقن العربية إتقاناً مدهشاً ، فإذا يدعوهُ إذن إلى اتخاذ هذا الطريق الملتوى الغريب (٢) ، .

والموقف يتضح إذا ما عدنا إلى قول أوليرى د إن حيننا اضطر إلى تعلم العربية في وقت متأخر من حياته (٣) ، . فكان أن قصد البصرة (٤) ولازم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي .

لا غرابة إذن في أن يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية إلى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجمات بالتشجيع والتهذيب ، ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجة إلى إتقان العربية ، هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد ترجمة الكتب التي كان قد ترجمها في صدر حياته إلى العربية عندما أحس تفوقه فيها . ولقد

(١) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ترجمة الدكتور وهيب كامل ص ٢٢٨ .

(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوى : فن الشعر لأرسطوطاليس التصدير ص ٥١

(٣) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٩

(٤) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في الدين ص ١٥

— راجع القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة

استطاع حنين بفضل تضلمه في اليونانية أن يوضح معاني كتب جالينوس ،
وخلصها (١) أحسن قلخيص ، ويكشف ما استغلق (٢) منها ، ويقدم لها ،
فن ذلك ما فعله في كتاب الفصل إذ « نقله من اليونانية إلى العربية ،
وهذه ، وزاد فيه مقدمة فيما يجب على الطبيب اعتياده في الصنعة
والعلاج » وقلاه بكلام جالينوس في الفصل (٣) .

ولم ينحصر نشاط حنين في نطاق ترجمة الكتب الطبية فقد قيل إنه
عرب كتاب إقليدس (٤) ، وكتاب بطليموس (المجسطى) أكبر كتبه
الفلكية ، وأصلحها ونقحها .

كذلك عرب حنين عددا كبيرا من كتب بقراط وأرسطو ، كما
« جعل المنهج الكامل في مدرسة طب الإسكندرية في متناول أيدي
الطلاب العرب ، واشتمل على مجموعة مختارة من كتب جالين (٥) ،
فأفاد الأمة العربية إفادة جريئة (٦) ، إذ لولا ذلك التعريب الذي قام به حنين

-
- (١) راجع صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ص ٤١
— ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٩
(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة
(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٢
(٤) تاريخ أبي الفدا ص ٢٨٥ طبع القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
— يذكر ابن خلكان (أنه نقل كتاب إقليدس من اللغة اليونانية إلى اللغة
العربية ثم جاء ثابت بن قرة فنقحه وهذه ، وكذلك كتاب المجسطى)
— وفيات الأعيان ص ٢٠٩ مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ
(٥) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩
(٦) راجع دائرة معارف الإسماعيلي : المجلد السابع ص ٢٥٣ مادة « حنين »

وغيره من المترجمين ، لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان ، لا جزم كل كتاب لم يعرفوه باق على حاله ، ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة (١) .

ولم يشأ حنين أن يقف عند حد النقل والتعريب ، فقد أحس قدرته على التأليف في هذه الموضوعات التي طامسا اشتغل بالترجمة فيها ، وقد أورد القفطي قائمة (٢) كاملة لمؤلفاته ، وقد كانت باللغتين السريانية والعربية ، وكانت كتبه الطبية صورة منعكسة لكتب أطباء اليونان التي استنفد في ترجمتها أهم قسط من نشاطه في حياته العلمية ، وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أهم كتبه (٣) « تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس » وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية ، و « المسائل في الطب » وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة ، ثم كتاب « العشر مقالات في العين » وكتاب « المسائل في العين » .

ويرى أوليري « أن الفضل في حنين يجب أن ينسب إلى جنديسابور بالرغم من أن معلوماته الأوسع والأدق إنما جاءت عن طريق بلاد الإغريق لأن هذه الأسفار والدراسات لم يدفعه إليها إلا ما فعله في جنديسابور (٤) » .

إسحق بن حنين « توفي سنة ٢٩٨ هـ وقيل سنة ٢٩٩ هـ » .
كان يلحق بأبيه في صحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية إلى العربية ، وقد

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٠ ص ٢٠٠ ط . بولاق ١٢٩٩ هـ

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠

(٣) مقدمة العشر مقالات في العين من ص ٣٣ — ٣٩ المطبعة الأميرية ١٩٢٨ م

(٤) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

خلفه (١) على الترجمة ، وكان بارعا ومقدما في العلوم الرياضية ، كما تميز في صناعة الطب (٢) .

وقد نقل إسحاق من الكتب اليونانية إلى اللغة العربية كتباً كثيرة ، إلا أن (٣) جل عنايته كانت مصروفة إلى نقل الكتب الحكمية ، يشير ابن خلكان إلى ذلك أيضا بقوله : إن الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب (٤) ، ويعمل ابن العبري ذلك بقوله : إن نفس إسحاق كانت أميل إلى الفلسفة (٥) .

ومن المؤلفات التي نقلها إلى اللغة العربية أصول الهندسة لإقليدس ، وأصلحه فيها بعد ثابت بن قرة ، وكتاب المعطيات لإقليدس أيضا ، ثم كتاب المجسطى لبطليموس ، وقد أصلحه كذلك ثابت بن قرة . يقول القفطى : أصلح ثابت النسخة التي نقلها إسحاق بن حنين من المجسطى إلى العربي إصلاحا قضى فيه حق من سأل ذلك أو حق إسحاق (٦) . ويذهب ماكس مايرهوف إلى أن السبب في أن ما ترجمه إسحاق قد أصلحه غيره يرجع إلى أن معلوماته في اللغة العربية كانت قليلة جدا

(١) انظر صاعد الأندلسي : طبقات الأئمة ص ١ ط. محمد مطر

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ٨٢ ط. بولاق

(٣) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨٨

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص ٨٣ ط. بولاق

— انظر دائرة معارف البستاني المجلد الثالث ص ٥٣

— انظر البيهقي : تاريخ الحكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق

(٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢

(٦) القفطى : أخبار الحكماء ص ٨٣ مطبعة السعادة

بحيث أنه لم يتمكن من حسن الترجمة (١) ، غير أن ابن النديم يقول « وكان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك (٢) » ، والقفطى (٣) يردد ما قاله ابن النديم بنفس ألفاظه . ويبدو لي أن تفوق إسحق على أبيه في العربية لا يعنى أنه كان يتقنها إذ أن معرفة حنين بالعربية كانت قاصرة في مستهل حياته .

وقد نقل إسحق بن حنين من كتب أرسطو المقولات ، والجدل ، والعبارة ، والخطابة ، ولا نستطيع أن نتبين أى هذه الكتب نقل من السريانية ، وأياها نقل مباشرة عن اليونانية (٤) ، كذلك لا نعرف على وجه التحقيق إذا كان بعض هذه الترجمات قام به إسحق أو أبوه حنين ، ومرد ذلك إلى أنها كانا يشتغلان معا .

ويبدو أن إسحق كان قد أسلم إذ يقول البيهقي عنه « وإسحق بن حنين كان من جملة المسلمين ، وقد حسن إسلامه ، وأشركه المسكتفي في بيعة ابنه مع وزيره العباس بن الحسن (٥) » .

ثابت بن قرة « ولد سنة ٢٢١ هـ بخران وتوفي سنة ٢٨٨ هـ » كان من الصابئين (٦) من أهل حران ، وقد قُتلت إليه زعامتهم .

-
- (١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ٣١ المطبعة الأميرية
 (٢) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٩ مطبعة الاستقامة بالقاهرة
 (٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٥٧ مطبعة السعادة بالقاهرة
 (٤) راجع دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني ص ٩٨ مادة « إسحق »
 (٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق
 (٦) المرجع السابق ص ٢٠

يقول كوير يونج إنه كان د زعيم طائفة من عبدة النجوم ازدهرت في حران (١) ، وقد عمل في مبدأ أمره صرافا بسوق حران ، ثم انتقل إلى بغداد د لخلاف يديته وبين أبناء دينه (٢) فأدخل رئاسة الصابئة إلى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم ، وعلت مراقبتهم وبرعوا ، وقد قدمه محمد بن موسى إلى المعتضد فاتخذته صديقا له ، ود أدخله في جملة المنجمين (٣) .

وقد اشتغل ثابت بعلوم الأوائل ففهر فيها ، وأعانته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هي الإغريقية والسريانية والعربية . وغلب عليه الاتجاه الفلسفي والرياضي ، ولعل ذلك يرجع إلى ما اشتهر به الصابئة عامة في هذه العلوم .

يقول عنه صاعد الأندلسي إنه د فيلسوف متوسع في العلوم ، متفنن في ضروب الحكم ، متقلد لجوامع الفلسفة ، له تأليف حسنة في المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك (٤) .

(١) أثر الإسلام الثقافي في المسيحية ص ٢٥٢ مقال نشر في كتاب د الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٧٢

— انظر الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦

— اقرن ذلك بقول القنطلي د اصططبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلاد الروم لأنه رآه فصيحا ، أخبار الحكماء ص ٨١ مطبعة السعادة بالقاهرة

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٥

(٤) طبقات الأمم ص ١ ط. محمد مطر

وقد بلغت تأليفه مقدار عشرين (١) تأليفا ، ومن الكتب التي ألفها بالسريانية كتابه « في السكون بين حركتي الشريان » (٢) ، وقد نقله إلى العربية عيسى بن أسيد ، وأصلح ثابت العربي .

كذلك يذكر ابن العبري أنه ألف « بالسريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتسكين الموتى ودفنهم » (٣) ،

== — أنظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

ج ١ ص ٢١٥ المطبعة الوهبية

— يذكر البيهقي أنه « كان حكيما كاملا في أجزاء الحكمة ،

تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٠ مطبعة الرقعي بدمشق

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٣٥ ط . بولاق ١٢٩٩ هـ

— يرى أوليري أنه ألف بالعربية حوالى ١٥٠ بحثا في المنطق

والرياضيات والفلك والطب ، وكتب بالسريانية خمسة عشر بحثا آخر .

مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٦٠

(٢) جاء في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢١٨

« أنه صنف هذا الكتاب سريانيا لأنه أوما فيه إلى الرد على الكندي ،

ونقله إلى العربي قليلا له يعرف بعيسى بن أسيد النصراني ، وأصلح ثابت

العربي ، وذكر قوم أن الناقل لهذا الكتاب حميش بن الحسن الأعسم

وذلك غلط ،

— أنظر في ذلك أيضا القفطي : أخبار الحكماء ص ٨١ مطبعة السعادة

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٥٢

— راجع قول القفطي « وله بالسريانية ما يتعلق بمذهبه ، رسالة في »

ويعد البيهقي من تصانيفه كتاب الذخيرة (١) وهو كتاب نادر في الطب وهو عربي جيد . ويستدل بما أورده القفطي (٢) من كتب ثابت أنه كان على قدر كبير من النشاط إذ أنه لم يتك ناحية من نواحي معارف عصره إلا وألف فيها كتابا ، أو أصلح فيها ترجمة ، أو نقل فيها شيئا رآه جديرا بالنقل .

ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن ثابت بن قرة قد أصاح عددا كبيرا من مترجمات اسحق بن حنين الفلسفية والرياضية ، ويوجد حتى اليوم عدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحا لها (٣) .

ومن الترجمات التي أصلحها « النسخة التي نقلها اسحق بن حنين من المجسطي لبطليموس إلى العربي ، ثم لأنه نقل هذا الكتاب نقلا جيدا ،

= الرسوم والفروض والسنن ، رسالة في تكفين الموتى ودفنهم ،
رسالة في اعتقاد الصابئين »

— أخبار الحكماء ص ٨٤ مطبعة السعادة

(١) البيهقي : تاريخ الحكماء الإسلام ص ٢١ مطبعة الترقى بدمشق
— يقول القفطي « سألت أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة
عن هذا الكناش ، فقال ليس ذلك لثابت ، ولا وجدته في كتبه ، ولادسا تيره »
أخبار الحكماء ص ٨٤ مطبعة السعادة

(٢) انظر ثبوتا مفصلا لكتيب ثابت بن قرة عند القفطي : أخبار الحكماء
من ص ٨١ إلى ٨٤ مطبعة السعادة

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٩

وأصلحه وأوضحه (١) ، كما أنه اختصر جزءا كبيرا منه ، كذلك أخذ كتاب (٢) اقليدس الذي عربه حنين بن إسحاق أيضا فمذهبه وفتححه ، وأوضح ما كان مستعجلا منه . وقد كان لثابت كثير من التلاميذ ، وكان أحدهم مسيحيا ، ويدعى عيسى بن أسيد ، وقد ترجم عيسى (٣) إلى العربية مؤلفات ثابت التي وضعها بالسريانية ، وكان يتولى النقل بحضوره .

حبيش بن الحسن الدمشقي :

وهو ابن أخت حنين بن إسحاق ، وأحد قلاميذه ، ومنه تعلم صناعة الطب . يقول البيهقي « وحبيش كان من الأطباء المتقدمين والمهندسين ، وله تصانيف كثيرة في الطب ، وكان مصيبا في المعالجات (٤) »

وقد استطاع حبيش « بفضل حذب حنين عليه أن يصبح أحد مشاهير المترجمين (٥) » فاشتغل بالنقل من اليوناني والسرياني إلى العربي ، وكان يسلك مسلك حنين في نقله إلا أنه كان يقصر عنه (٦) ، وبالرغم

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٨٣ مطبعة السعادة

(٢) ابن خلسكان : وفيات الأعيان ص ١٣٥ وانظر ص ٢٠٩ من

نفس المرجع مطبعة بولاق ١٢٩٩هـ

— انظر دائرة معارف البستاني المجلد السابع ص ٢٥٣ مادة « حنين »

(٣) انظر ترجمة عيسى بن أسيد القفطي : أخبار الحكماء ص ١٦٤

— ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ مطبعة الاستقامة

(٤) تاريخ حكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٢م

(٥) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ١٧

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٣٠ ص ٢٠٢

من ذلك فقد كان حنين ، يقدمه (١) ويعظمه ويرضى نقله ، وقد نسب أكثر ما نقله حبش إلى حنين . يقول القفطى د كثيرا ما يرى الجبال شيئا من الكتب القديمة متوجها بنقل حبش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم ، ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ، ويجعله لحنين (٢) .

ويرى ما يرهوف أن هذا الخلط مرده إلى د تشابه اسم حنين وحبش في الكتابة الخطية أيام أن كانت الحروف لا تنقط ، فكانا يرسمان هكذا د حس و د حسس (٣) .

ويقول دى بور د نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا فإن كتباً كثيرة تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى ، ولا بد أن كثيراً من الكتب كان يترجمه تلاميذهم ومساعدوهم بإرشاد منهم (٤) .

متى بن يونس كان ببغداد في خلافة الراضى بعد سنة عشرين وستمائة هـ . كان (٥) حكيما نصرانيا من أهل دير قف بمن لسا في أسكول مرمارى ، شرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ،

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨ مطبعة الاستقامة

— ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٣٣ مطبعة السعادة

— راجع ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٣

(٣) ماكس مايرهوف : كتاب العشر مقالات في الدين المقدمة ص ٢٢

(٤) دى بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٠

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٨ مطبعة الترقى بدمشق

ولإليه (١) انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وكان يطنب في الكلام بقصد التعليم والتفهم . ولعل من أهم الكتب التي ترجمها كتاب سوفسطيقا (٢) لأرسطو ، ومعناه الحكمة المموهة ، وقد نقله إلى السرياني . كما ترجم أيضا كتاب الشعر لأرسطو ، يذكر ذلك ابن النديم في حديثه عن كتب أرسطو فيقول : الكلام على أبوطيقا ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر متى بن يونس من السرياني إلى العربي ، (٣) .

وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي هذه الترجمة كاملة في كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهو يرى أنها ترجمة (٤) رديئة .

سنان بن ثابت بن قرة : (توفي سنة ٢٣١ هـ)

كان (٥) عالما بالعدد والهندسة ، وكان طبيبا مقدما كأييه ، وقد وكل إليه المقتدر امتحان أطباء بغداد سنة ٣١٩ هـ ، وقد نقل إلى العربي نواميس هرمس والسور والصلوات التي يصل بها الصابئون (٦) . كما

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٢ مطبعة الاستقامة

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٨ مطبعة السعادة

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٣ مطبعة الاستقامة

(٤) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي : يغلب على ظننا أن ابن سينا في تلخيصه وعرضه لكتاب الشعر في « الشفاء » إنما استعان بترجمة يحيى بن عدي على افتراض أنها كانت أصح لأنه لم يكن في وسعه الاعتماد على ترجمة أبي بشر متى بصورتها التي وصلت إلينا .

فن الشعر لأرسطوطاليس : التصدير ص ٥٠ مطبعة مصر

(٥) صاعد الأندلسي : طبقات الأئمة ص ٤١ ط . محمد مطر

(٦) القفطي : أخبار الحكماء ص ١٣٣ مطبعة السعادة

أصلح كثيرا من الترجمات التي كانت تترجم من السرياني إلى العربي (١) .
من ذلك لإصلاحه كتاب أفلاطون في الأصول الهندسية ، وقد زاد في
هذا الكتاب شيئا كثيرا (٢) . وقد توفي سنان بن ثابت مسلما
ببغداد (٣) .

يحيى بن عدى : (توفي سنة ٢٦٤ هـ)

كان نصرانيا يعقوب النحلة ، قرأ على أبي بشر متى بن يونس وعلى
أبي نصر الفارابي ، وقد انتهت إليه رئاسة أهل المنطقة في زمانه ، وكان
يُستخ به (١) ، فكتب كثيرا من الكتب ، وله تصانيف وتفسير
ونقول كثيرة ، من ذلك كتاب « طويقا » لأرسطاطاليس . يقول ابن
النديم في معرض الحديث عن كتب أرسطو « الكلام على « طويقا »
« الجدل » نقل إسحق هذا الكتاب إلى السرياني ، ونقل يحيى بن عدى
الذي نقله إسحق إلى العربي . كما نقل كتاب « طويقا » ، وقد ذكره
ابن النديم أيضا في قوله « الكلام على « طويقا » ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر متى
من السرياني إلى العربي ، ونقله يحيى بن عدى (٢) وقد بقيت لنا ترجمة أبي بشر
متى ، ونظرا لرداءتها فإن الدكتور عبد الرحمن بدوي يظن أن الخبر عن يحيى
بن عدى وأنه نقله خبر صحيح (٣) كما نقل كتاب « طويقا » لأرسطو
إلى العربي أيضا .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ص ٢٢٤

(٢) القفطى : أخبار الحكماء - ص ١٣٣

(٣) ابن النديم : الفهرست - ص ٣٩٤

(٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول - ص ٢٩٧

(٥) ابن النديم : الفهرست - ص ٢٦٣

(٦) من تصدير فن الشعر لأرسطو - ص ٥٠ مطبعة مصر

أبو علي عيسى بن زرعة :

« ولد سنة ٣٣١ هـ وقوفى سنة ٣٩٨ هـ (١) »

كان نصرانيا يعقوبيا ، اشتغل بالمنطق فى بغداد ، وكان متقدما فيه ، كما برع فى الفلسفة . ذكره ابن النديم فقال إنه « كان ينقل من السريانى إلى العربى ، وأكثر ما نقله يدخل فى دائرة الفلسفيات (٢) » . وكان جيد النقل ، وما نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس . والقفطى يشير إلى ذلك بقوله « ونقله (كتاب الحيوان) أبو علي بن زرعة إلى العربى وصححه ، وملكت منه نسخة (٣) » .

(١) راجع ابن العبرى: مختصر تاريخ الدول ص ٣١٥

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٣ مطبعة الاستقامة

(٣) القفطى أخبار الحكماء ص ٣١ مطبعة السعادة

— راجع بقية تصانيفه فى نفس المرجع ص ١٦٤

الفصل الثالث

طرق المترجمين في النقل وأساليبهم

في وسعنا بعد هذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من حركة الترجمة أن نقبين أن النقل كان يحدث إما من اليونانية إلى العربية مباشرة ، وإما من اليونانية إلى السريانية ، ومنها إلى العربية (١) . وما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تصدر في الوقت الذي كانت تبدأ فيه الترجمات العربية ، وقد دامت الترجمة إلى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور (٢) . أي أن عمل الترجمة كان من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات في العربية وفي السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغني عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس .

ويذهب ماكس مايرهوف إلى أن « الترجمة في النصف الأول من القرن الثالث و التاسع الميلادي » كانت غالبا إلى السريانية ، وفي النصف الثاني ازدادت حركة الترجمة إلى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا بإصلاح التراجم القديمة (٣) .

(١) راجع الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في أصول التعريب ص ٧٣

(٢) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ٢٤١

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٨٠

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا . يقول دى بور د والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعا يكونون من السريان (١) .

ويقول ماكس مايرهوف د وكان هؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية (٢) .

ويقول فيليب حتى د كان معظم المترجمين من يتكلمون الآرامية (٣) ، وهكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الإغريقية والعلوم الإغريقية والإسلام ، وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم ، وتمز بأفلامهم قبل أن تصل إلى العقل العربى . د وقد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل ، ولكن الرجوع إلى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق فى هذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهو أن الدقة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غاية من الأهمية (٤) .

وكان د للتراجمة فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٨

— انظر جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٢

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٧

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٢٨٦ ط ١٩٥٢

(٤) أولبريخت : علوم اليونان وسهل نقلها إلى العرب ص ٢٢٠

الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها ، وينقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجنين أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . الثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما . وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن إسحق والجوهري (١) وغيرهما ، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها ، وهذه الطريق أجود (٢) .

ولكن يبدو أن الأمر لم يكن على هذا النحو المتطرف الذي صوره الصفدي فالالتجاء إلى الترجمة الحرفية لم يكن مذهباً عاماً .

يقول فيليب حق د لما كانت تعترض المترجمين قطع صعبة في الأصل ، فإنهم كانوا يعتمدون إلى الترجمة الحرفية ، فإذا لم يجدوا مرادفاً عربياً ، كانوا يعتمدون إلى نقل اللفظ اليوناني بحروفه مع إدخال شيء من التحوير (٣) د ومن ثم نجد كلمات مثل (٤) قاطيفورياس أي المقولات ،

(١) توفى حوالي سنة ٨٣٣ م أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية

إلى العرب ص ٢٣٨

(٢) صلاح الدين الصفدي : الغيث المسجّم في شرح لامية العجم ج ١ ص ٦٤

— انظر الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في أصول التهريب ص ١١٣

(٣) فيليب حق : تاريخ العرب ج ٢ ص ٣٨٦

(٤) راجع ابن النديم : الفهرست ص ٢٦١

بارى إرمانياس أى العبارة ، أنالوطيقا أى تحليل القياس ، ريطوريقا أى الخطابة ، أبوطيقا أى الشعر ، أرثمطيقى أى الحساب (١) . وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى المصطلحات الفنية التى يصطلحون بها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هى بحروف عربية ، ولكن هذه المصطلحات قتل فى أحيان كثيرة على أنها مرت فى وسط آراى « سريانى » فى طريقها إلى العرب ، وهذه الظاهرة أكثر وضوحا فى الكتب الطبية منها فى الكتب الرياضية والفلكية (٢) .

كذلك لم تكن طريقة حنين فى التعريب على هذا النحو الذى صورته الصفدى . يقول برجستراسر « إن حنينا وحيثما أفضل تلاميذه تجشما غناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما يستطيع من الوضوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتفسير ديباجتها ، لكن تراجم حنين أفضل ، ودقتها أعظم ، ومع ذلك فإن الإنسان يخيل إليه أنها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغة ، وحسن تصرف فى مذاهبها ، ويتجلى هذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية ، والدقة المتناهية فى التعبير مع الإيجاز ، تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها (٣) .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٠

(٢) أولهى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ص ٢٢٠

(٣) ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين المقدمة ص ٣٠

ولقد بذل السريان أقصى جهدهم في الإحاطة بالتراث اليوناني ،
وكانوا يحبون الأقطار سعيها وراء استكمال المكتب التي وقعت
تحت أيديهم .

يقول حنين بن إسحق عن كتاب د في البرهان لجالينوس ، الذي
كان قادر الوجود في القرن الثالث الهجري د إني بحثت عنه بحثا
دقيقا ، وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر
إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لسكني لم أحظ إلا بما يقرب من نصفه
في دمشق (١) .

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن فهم السريان للثقافة اليونانية صحيحا
كله ، كذلك لم يحل إقناع النقلة لليونانية والسريانية والعربية من ظهور
بعض ما أخذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينا أنه إلى جانب أولئك
المترجمين الذين أشرنا إليهم كان هناك فئات أخرى من ليست لديهم
درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمة الصحيحة المؤدية لحقائق
الأصل ومراميها .

يقول القفطي وهو يتحدث عن كتاب د الكون والفساد ، لأرسطو
« وقال أهل العلم بالسرياني أنه بالسرياني فوق العربي في الجودة ، ولا شك
في أن ناقله إلى العربي قصر في الترجمة » . (٢)

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات في العين ص ٢٩

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ص ٣٠

— يقول ابن النديم د وليحيي النهوي في الكون والفساد شرح تام ، والعربي
دون السرياني في الجودة ، الفهرست ص ٣٦٥ .

وعندما تقدمت حركة الترجمة أحس المترجمون بما كانوا قد وقعوا فيه من أخطاء ، فأخذوا يعيدون النظر فيما نقل ، ويتناولونه بالترجمة من جديد ، أو يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

يقول أوليري : « وقد أدى الحرص على معلومات علمية دقيقة إلى وضع ترجمات أكثر دقة أو إلى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا ، (١) .

ولعل ذلك يتضح في قول حنين بن إسحق في رسالة له إلى علي بن يحيى عن كتاب في الفرق الجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الأربعين من عمرى طلب إلى تليزى حبش أن أصلحها بعد إذ كنت قد جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية ، وعند ذلك رقت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة قارتها بالنص السرياني ثم صححتها ، وتلك عادتى التي اتبعتها في كل ما ترجمته (٢) » .

كذلك يقول إسحق « نقلت هذا الكتاب « كتاب النفس لأرسطو » إلى العربى من نسخة رديئة ، فلما كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخة في نهاية الجودة ، فقابلت بها النقل الأول وهو شرح ثامسطيوس (٣) » .
وبديهي أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده إلى تفاوتهم في

(١) أوليري : علوم اليونان وسهل انتقالها إلى العرب ص ٢٢٠

(٢) العشر مقالات في العين - المقدمة ص ٢٩

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٦

- القفطي : أخبار الحكماء ص ٣ ، ٣١

المعرفة باللغات المترجم منها وإليها ، وإلى تمكنهم من المسادة العلمية التي تعالجها موضوعات الكتب التي يتجمعونها .

يقول ابن أبي أصيبعة « وجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية إلى السريانية سرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية إلى العربية موسى بن خالد الترجمان ، فلما طابقتها وقامت ألفاظها ، تبين لي بين نقلها وبين الست عشرة التي هي نقل حنين تباين كثير ، وتفاوت بين ، وأين الالكن من البليغ والثري من الثريا (١) ١٩٠ » .

ولقد ترتب على تبادل الكتاب الواحد في أيدي أكثر من مترجم أن ثارت الريبة حول الكتب المنقولة ، ولم يعد الناس يرتاحون لها ويطمئنون إليها . يقول الجاحظ « ولا يزال الكتاب قد اؤله الأيدي الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطاً صرفاً ، وكذباً مصمماً ، فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتعاوره الخطاط بشر من ذلك أو بمثله (٢) » .

ويقول برجستراسر « إن لغة كتاب العشر مقالات في العين تشيع فيها بعض خواص امتاز بها أسلوب حنين وحبيش ، ولكنه مكتوب بأسلوب عربي — وبربري أحياناً — رديء بحيث لا يرحس انحطاطه وسوقيته إلى عبث الناسخين فحسب ، كذلك يظن أن الكتاب في صورته التي هو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجح أن حبيشاً

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٢ ص ١٨٩

(٢) الجاحظ — الحيوان ١٢ ص ٧٩

وسواه من تلاميذ حنين غيروا فأخرجوه عن أصله ، (٣) .

ولا غرابة في أن يشك الجاحظ فيما تضمنته الكتب المترجمة ، ويشور القلق في نفسه ، فلا يصدق ما يقوم المترجمون بنقله . ودافعه إلى ذلك أن « الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، وحقائق مذهبيه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهما حقوقها ، ويؤدي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم » (٢) .

وهكذا وجد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره في المترجمين ، فهم في رأيه عاجزون عن التعبير عن المعاني الأصلية ، ولذا فهو يسلسلهم فيمن لا يسلم بقولهم ، ولا يأخذ بكلامهم « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين ، وأحاديث السماكين ، وإلى ما في كتاب رجل لعلمه أن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه لسوء ترجمته » (٢) .

ولم يكن هناك بد وقد عاب الجاحظ على الترجمة عجزهم عن نقل المعاني بدقة في قرجاتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على السكتب القديمة من تحريف من أن يبين لهم الخصائص التي يراها لازمة لمن يأخذ نفسه بهذا العمل ، وقد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة (٤)

(١) العشر مقالات في العين المقدمة ص ٦٣

(٢) الجاحظ : الحيوان ١٣ ص ٧٥ ، ٧٦

(٣) الجاحظ : الحيوان ٦٣ ص ١٩

(٤) انظر الدكتور طه الحاسري : تخريج لصوص أرسططاليس في كتاب

الحيوان . بحث في مجلة كلية الآداب المجلد السادس سنة ١٩٥٢ ص ١٧

« تلخص في معرفة دقيقة أصيلة محيطية بالموضوع ، وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول إليها ، وهو يقول إن من الواجب على من يعمل بالترجمة أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه (١) . وهو يذكر أنه « لا بد للترجمان من أن يكون بياضه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضم عليها ، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطئ فيه ، ولن تجد البتة مترجما يفى بواحد من هؤلاء العلماء (٢) . »

ولقد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين ، وأصبحت طيعة في أيديهم ، وكانت ألفاظها الكثيرة من الوسائل التي أعانت على أداء المعاني وإبرازها بكل دقة .

يقول ابن سنان الخفاجي « كانت اللغة العربية مع السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني ، وفي النقل إليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل إلى لغة العرب إلا ويحصى الثاني أقصر من الأول ، مع سلامة المعاني ، وبقائها على حالها ، وهذه بلا شك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لأن الغرض في الكلام ووضع اللغات ببيان المعارف وكشفها ... وقد أخبرني أبو داود المظفران - وهو عارف باللغتين :

(١) الجاحظ : الحيوان ١٣ ص ٧٦

(٢) المرجع السابق ١٣ ص ٧٦

العربية والسريانية - أنه إذا نقل الألفاظ المحسنة إلى السرياني
قبيحت وخست ، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد
طلاوة وحسنا ، وهذا الذى ذكره صحيح (١) .

ويرى دى بور أنه د ينبغي ألا نعد هؤلاء النقلة من جملة الفلاسفة
ذوى الشأن ، إذ كان ينسب أن يقبل أحدهم على الترجمة من تلقاء
نفسه ، بل كان فى كل الأحوال تقريبا يعمل طاعة لخليفة أو وزير
أو رجل عظيم (٢) .

(١) ابن سنان الخفاجى : سر الفصاحة ص ٤٨
(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٣١

الخاتمة

قام هذا البحث ليكشف عن « نصيب السريان في الحضارة الإسلامية »
١ - وقد استوجب ذلك أن ندرس في الفصل الأول من الباب الأول أوليات الحضارة في المنطقة التي تسمى الآن بالهلل الخصب باعتبارها البيئة التي استقر فيها الآراميون بعد هجرتهم من الجزيرة العربية ، وقد كشفت هذه الدراسة عن أن الآراميين قد تلقوا تأثيرات حضارية عديدة مكنهم منها موقع بلادهم ، كما أن اللغة الآرامية قد ظلت سائدة في آسيا حتى مطلع القرن السابع الميلاد تقريبا ، ولم يؤثر عليها زوال نفوذهم السياسي ، ولقد اندثرت الحضارة الآرامية ، ولم يصل لنا إلا القليل من معارفهم لعدم مساهمتها للعقيدة المسيحية .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب خرجت من دراستي للسريان بأن لفظة سريان لا تتخذ للدلالة على الجنسية بل على الديانة ، وأنها مرادفة للفظلة المسيحي والنصراني .

٢ - وفي الباب الثاني تحدثت عن المراكز الثقافية في الشرق القديم ، وكان أهمها الإسكندرية ، وحران ، وجنديسابور ، والرها ، ونصيبين ، وكانت النتائج التي توصلت إليها تلخص فيما يلي .

(١) بدأ اتصال المسلمين بمدرسة الإسكندرية منذ زمن الفتح ، وقد ساعد اهتمام الخلفاء الأمويين بالعلوم المسيحية على تشجيع هذه الصلة ، ومن هناك قدم إسطفانوس وماريانوس ، وترجموا كتب الكيمياء لحالد ابن يزيد ، كذلك قام ماسرجويه بترجمة بعض الكتب الطبية في عهد عمر بن عبد العزيز ، ولما جاء العصر العباسي كان نفوذ مدرسة الإسكندرية قد أصابه الضعف .

(ب) ظهر أثر مدرسه حران في الرياضيات ، وقد تميز الحرائيسون بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذلك جاءت ترجمتهم دقيقة .

(ج) اتصل العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام : ومن درسوا فيها الحارث بن كلدة ، وقد عمل هذا الاتصال على تعريف العرب بالحضارة الفارسية . ورغم سقوط دولة الفرس فقد ظلت المدرسة تقوم بنشاطها ، غير أن العناية لم تتجه إليها إلا في العصر العباسي حين قدم كثير من أطبائها لعلاج الخلفاء ، وبذلك أتيح لهم أن يظهروا مهارتهم ، فنقلوا كثيرا من الكتب إلى العربية .

(د) يبدو أن تأثير مدرستى الرها ونصيبين كان ضعيفا في العرب لأن الدراسة بها كانت لاهوتية محضة ، كما كانت موجهة بحيث توافى حاجات الكنيسة .

٣ - وفي الباب الثالث بينت جهود السريان في الحضارة العربية قبل الإسلام ، وعينت البيئات التي بدت فيها هذه الجهود ، وما أثمرته فيها . وقد توصلت إلى النتائج الآتية :

(أ) كانت الآرامية هي لغة الكتابة في دولة الأنباط وفي دولة تدمر ، ومن آرامية الأنباط أخذ عرب الشمال أبجديتهم .

(ب) كان اليعاقبة هم الذين نقلوا الثقافة اليونانية إلى الفساسة .

(ج) تلقى عرب الحيرة قدرا كبيرا من العلم والفلسفة واللاهوت المسيحي عبر اللغة السريانية التي كانت سائدة هناك .

(د) كان تسجيل تاريخ الأديرة في الحيرة من العوامل التي أعانت اللغة العربية لكي تصبح لغة خالصة وتصلح للاستعمال في الكتابة .

(هـ) انتقل التأثير النسطوري من الحيرة ونفذ إلى العرب كلهم ،

وكانت له مظاهره في نجران .

(و) ظهور القلق الدينى ، ووجود نزعات دينية عند بعض الشعراء فى العصر الجاهلى مظهر من مظاهر التأثير بالسريان .

٤ - وقد أوضحت فى الباب الرابع النشاط الذى قام به السريان فى ظل الامويين ، فبينت أن الأسباب التى مهدت لقيام السريان بدورهم فى بناء الحضارة الإسلامية كانت تتلخص فيما يلى :

(أ) ظهور مشكلات جديدة لم يكن لدى المسلمين بها خبرة من قبل أدى بهم إلى الاستعانة بأهل الثقافات الأجنبية ، وكان معظم هؤلاء سرياناً .
(ب) مساواة الإسلام بين معتنقيه استشارت غير العرب فشاركوا فى كل نشاط دار حولهم .

(ج) انتقال الخلافة إلى دمشق أقاح للسريان فرصة واسعة ليضاعفوا من جهودهم فى بناء الدولة الإسلامية ، ذلك أن دمشق كانت مركزاً للأساقفة المسيحيين ، ولقد كان من نتائج هذا الانتقال أن استعمل الأمويون عمالاً كثيرين من اليونان والسريان ، وأسندوا إلى المسيحيين مركز الوزير الأول .

(د) ظلت الحياة العقلية فى البلاد التى فتحها الإسلام تسير وتنبه ، فظل النشاط الثقافى على ما هو عليه مما ساعد على التحام الثقافات الأجنبية بالفكر العربى .

ولقد اقتضى سير البحث أن أعرض للبصرة والكوفة كمركزين من مراكز الثقافة عنياً بالنشاط العقل فى العصر الأموى ، وقد كشفت الدراسة عما يلى :

(أ) على الرغم من أن البصرة والكوفة كانتا فى بداية الأمر مسكنات للجنود المسلمين إلا أن أهل العلم والمعرفة سرعان ما قاطروا عليهما مما أدى

إلى قيام حركه فكريه فيها لاشك أنها تأثرت بالثقافة السريانيه التي وفدت من جنديسابور والحيرة .

(ب) قامت الدراسات اللغوية في كل من البصرة والكوفة لتذيب الفارق الذى بدأ يزداد بين لغة القرآن الكريم ولغة الكلام اليومية .
(ج) دفعت الرغبة فى فهم القرآن كثيرا من الموالى لدراسة العربية لاسيما وأنهم وجدوا أن تفوقهم فى مثل هذه الدراسة يقربهم إلى الخلفاء ، ويؤهلهم لتولى المراكز العاليه فى الدولة .

(د) لما خاض العرب الأعاجم تسرب اللحن إلى ألسنتهم ، فاستوجب ذلك الاهتمام بالعلوم العربيه حفظا للغة العربيه من التذير ، ورغبة فى استجلاء معانى القرآن الكريم ، وخدمة للنص القرآنى حتى لا يزل أحد فى فهمه .

(هـ) النحو العربى متأثر بالنحو السريانى فى كثير من أطواره ، كما أن النحاة العرب تأثروا بالسريان فى كتبهم ، حيث ظهر أنهم يسلكون فيها مسلكا فلسفيا .

وفى الفصل الثانى من الباب الرابع تحدثت عن حركة النقل فى العصر الأموى وبيّنت جهود السريان فيها ، وكانت النتائج التى انتهى إليها البحث فى هذا الفصل هى :

(أ) على الرغم من أن دراسة الفلسفة كانت ميسرة فى العصر الأموى إلا أن المسلمين كانوا يخشون الخوض فيها حفاظا على عقيدتهم ، ومسح ذلك فإنه وجد من بينهم من تثقف بها مثل النضر بن الحارث بن كنده .
(ب) أول نقل علمى فى الإسلام كان بإرشاد خالد بن يزيد الذى أولع بدراسة الكيمياء ، وأشار بترجمة الكتب فيها .

(ج) اشتغال السريان بترجمة الكتب اليونانية إلى لغتهم قبل الإسلام أعانهم على أن يواصلوا عملهم في العصر الإسلامي ، وكانوا بذلك واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان .

(د) من النقلة في العهد الأموي يحيى النحوى ، وقد تأثر الغزالي بكتبه ، وماسرجويه الذى نقل كتاب أهرن القس في أيام عمر بن عبد العزيز .

وفى الفصل الثالث من الباب الرابع بينت موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة ، وتوصلت إلى النتائج الآتية .

(أ) تقبلت العقلية العربية الثقافات الأجنبية ، وأعانتها على ذلك رغبتها الدافقة فى التعرف على كل جديد ، وما كان لديها من إمكانيات فطرية مكنتها من سرعه الفهم ، ومع ذلك ظلت العلوم الإسلامية هى التى تظفر باهتمام المسلمين طوال العصر الأموي تقريبا .

(ب) على الرغم من عدم دراسة الفلسفة فى العصر الأموي إلا أن احتكاك المسلمين بالمسيحيين نقل إليهم كثيرا من الأفكار الفلسفية .

(ج) تأثرت الفرق الإسلامية بالعوامل المسيحية فى مذاهبها .

هـ - الباب الخامس حركة النقل فى العصر العباسي . وقد قسمته إلى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : درست فيه أسباب الترجمة ، وقد خرجت منه إلى أن الترجمة فى العصر العباسي قامت استجابة للدوافع الآتية :

(أ) احتياج حياة الحضارة إلى الأطباء والأدوية لفت الأنظار إلى جنديسابور ، وكانت تزخر بالأطباء ، فاستقدمهم الخلفاء وبذلك أتيحت لهم الفرصة لينقلوا علومهم إلى اللغة العربية لاسيما وأن الخلفاء قد رفعوا

قدرهم وأجزلوا لهم العطاء .

(ب) كانت الرغبة فى الاستعانة بوسائل الجدل والمنساقشة هى التى أدت إلى ترجمة الفلسفة ليتمكن المسلمون من مقارعة خصومهم والدفاع عن دينهم . ومن هنا كان أول علم من علوم الفلسفة حصل له اشتراك بعلم الكلام الإسلامى هو علم المنطق .

(ج) لم يترجم المسلمون الأدب اليونانى لعدم حاجتهم إليه .

(د) انتشار الإسلام ودخول غير العرب فيه دفع هؤلاء إلى نقل علومهم إلى اللغة العربية .

(هـ) اهتمام الخلفاء بالعلوم دفع غيرهم من الناس إلى التشبه بهم فوجد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أثرياء المسلمين . وفى الفصل الثانى من الباب الخامس درست ميادين الترجمة ، وذكرت العاملين فيها ، وأشارت إلى جهودهم ، وألمت بالكتب التى ترجمها أو أصلها كل منهم .

وفى الفصل الثالث من الباب الخامس بينت طرق المترجمين فى النقل وذكرت أساليبهم ، وانتهيت إلى ما يلى :

(أ) لم يكن لأحد من المترجمين طريقة خاصة يلتزمها ، وإنما كان مذهبه يتأثر بطبيعة الموضوع الذى يترجمه .

(ب) كان بعض المترجمين لا يحسنون فهم الموضوع الذى ينقلونه ، فجاءت ترجمتهم قاصرة بما أدى إلى إعادة ترجمة بعض الكتب أو تنقيحها .

(ج) بما يحمدهم اللغة العربية أنها استجابت بسرعة لمطالب العصر ، وأصبحت طبيعة فى أيدي المترجمين بما أعانهم على تأدية المعانى الجديدة التى استحدثتها هذا النشاط العلمى .

المراجع

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة — حمودة غرابة — دار الطباعة والنشر الإسلامية

(٢) ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية — ترجمة محمد عبد الله عنان . رسالة نشرت مع فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

(٣) أثر الإسلام الثقافي على المسيحية — مقال في كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » ، جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله .

(٤) أدب المعتزلة — دكتور عبد الحكيم بلبح — مكتبة نهضة مصر .

(٥) الآثار الباقية في القرون الخالية — أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني — طبع لبيزج سنة ١٩٢٣ م .

(٦) الأخبار الطوال — أبو حنيفة الدينوري — طبع ايمن سنة ١٨٨٨ م .

(٧) الأسر العربية المشتيرة بالطب — عيسى اسكندر المعلوف — المطبعة الأدبية سنة ١٩٣٥ م .

(٨) الإسلام : ظهوره وانتشاره في العالم — حامد عبد القادر — مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م .

(٩) الأصنام — أبو المنذر هشام بن محمد السائب السكبي — طبع دار الكتب سنة ١٩٢٤ م .

(١٠) الأغاني — أبو الفرج الأصفهاني — طبع ساسي ودار الكتب .

(١١) الأفلاطونية المحدثة عند العرب — الدكتور عبد الرحمن بدوي — مكتبة النهضة سنة ١٩٥٥ م .

- (١٢) الإيرانيون القدماء - دكتور عبد المنعم محمد حسين فصل من كتاب حضارة مصر والشرق القديم .
- (١٣) البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- (١٤) التاريخ الإسلامى - الدكتور أحمد شاذى - مكتبة النهضة المصرية .
- (١٥) التاريخ الكبير - أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين المهروف بابن عساكر - مطبعة روضة الشام .
- (١٦) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٦ م .
- (١٧) التنبيه والإشراف - أبو الحسن على بن الحسين المسعودى - طبع الصاوى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م .
- (١٨) التهذيب فى أصول التعريب - الدكتور أحمد عيسى - الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م مطبعة مصر .
- (١٩) الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم - الدكتور إبراهيم أحمد العدوى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨ م مكتبة الانجلو المصرية .
- (٢٠) الديارات - أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشاذلى - مطبعة المعارف - بغداد سنة ١٩٥١ م .
- (٢١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء - جمال الدين أبو الحسن على بن الفاضل الأشرف يوسف القفطى - مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ .
- (٢٢) الانتصار - أبو الحسن الخياط - طبع القاهرة سنة ١٩٣٥ م .

- (٢٣) الحضارة الإسلامية - تأليف خودا بخش - ترجمة الدكتور علي حسني
الخربوطلي - طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- (٢٤) الحياة العربية من الشعر الجاهلي - الدكتور أحمد محمد الحوفي -
مطبعة نهضة مصر .
- (٢٥) الحياة العسكرية والأدبية بمصر - الدكتور محمد كامل حسين - مطبعة
مصر سنة ١٩٥٩ م .
- (٢٦) الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد
السلام هارون - مكتبة مصطفى البابي الحلبي .
- (٢٧) الساميون القدماء - الدكتور حسن أحمد محمود - فصل في كتاب
حضارة مصر والشرق القديم .
- (٢٨) السيرة النبوية - أبو محمد عبد الملك بن هشام - مطبعة مصطفى
البابى الحلبي سنة ١٩٣٦ م .
- (٢٩) السيرة الخليفة - علي بن برهان الدين الحلبي - طبع سنة ١٣٩٢ هـ .
- (٣٠) أصل الخط العربي - خليل يحيى ناصي .
- (٣١) الشهامة - أبو القاسم الفردوسي - تعليقات الدكتور عبد الوهاب
عزام - طبع دار الكتب ١٩٢٢ م .
- (٣٢) العالم العربي - نجلاء عز الدين - ترجمة محمد عوض إبراهيم - دار
إحياء الكتب العربية .
- (٣٣) العراق وما توالى عليه من حضارات - الدكتور حسن عون -
مطبعة رويال .

- (٣٤) العرب قبل الإسلام - جرجى زيدان - طبع دار الهلال - مراجعة الدكتور حسين مؤنس .
- (٣٥) العشر مقالات في العين - حنين بن إسحق - مقدمة ماكس مايرهوف - المطبعة الأميرية القاهرة سنة ١٩٢٨ م .
- (٣٦) العقد الفريد - أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- (٣٧) العلوم عند العرب - قدرى حافظ طوقان - مكتبة مصر .
- (٣٨) الفلسفة اللغوية - جرجى زيدان .
- (٣٩) الفلسفة في الشرق - بول ماسون أورسيل - ترجمه محمد يوسف موسى - طبع دار المعارف بمصر .
- (٤٠) الفن ومذاهبه في النثر العربى - الدكتور شوقي ضيف - طبع دار الغد ، ونشر مكتبة الاندلس سنة ١٩٥٦ م .
- (٤١) الفهرست - ابن النديم - مطبعة الاستقامة .
- (٤٢) القومية العربية - الدكتور حازم زكى نسييه - ترجمة عبد اللطيف شرارة - دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٩ م .
- (٤٣) الكامل في التاريخ - لابن الأثير الجزرى - طبع بولاق .
- (٤٤) اللغة الشعبية في نحو اللغة السريانية - إقليدس يوسف داود - طبع الموصل في دين الآباء الدومنيكيين سنة ١٨٩٨ م .
- (٤٥) المسالك والممالك - ابن خردادبه - طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م .
- (٤٦) المعجزة العربية - ماكس فانتاجو - ترجمة رمضان لاوند - طبع دار الكشاف - بيروت سنة ١٩٥٤ م .

- (٤٧) الغيت المسحوم في شرح لامية العجم - صلاح الدين الصفدى -
المطبعة الازهرية
- (٤٨) المفضليات - أبو الحسن المفضل بن محمد الضبي - شرح حسن
السندوبى سنة ١٩٢٦ م .
- (٤٩) الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى - تحقيق
محمد بن فتح الله بدران - مطبعة الازهر .
- (٥٠) انتصار الحضارة - جيمس هنرى برستيد - ترجمه الدكتور أحمد غفرى .
- (٥١) إيران في عهد الساسانيين - تأليف كريستنس وترجمة الدكتور يحيى الخشاب
طبع القاهرة سنة ١٩٥٧ م .
- (٥٢) بحوث ودراسات إسلامية - الأستاذ محمد خلف الله - طبع مكتبة
النهضة المصرية .
- (٥٣) بلاد ما بين النهرين - ل . ديلاپورت - ترجمة محمد كمال
المطبعة النموذجية .
- (٥٤) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور إبراهيم سلامة - طبع أحمد نجيم .
- (٥٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - السيد محمد شكرى الألوسى -
مطابع دار الكتاب العربى بمصر .
- (٥٦) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - مطبعة الهلال سنة ١٩١١ م
- (٥٧) تاريخ أبى الفدا - طبع القسطنطينية - سنة ١٢٨٦ هـ .
- (٥٨) تاريخ الأدب السريانى - الدكتور مراد كامل - طبعه المقتطف .
- (٥٩) تاريخ التمدن الإسلامى - جرجى زيدان - مطبعة الهلال سنة ١٩٣٥ م .

(٦٠) تاريخ التربية الإسلامية - الدكتور أحمد شلبي - دار الكشف
بيروت سنة ١٩٥٨ م .

(٦١) تاريخ الحضارة الإسلامية - ف. بار تولد - ترجمة حمزة طاهر .

(٦٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة - جمال الدين القاسمي - طبع القاهرة ١٣٣١ هـ

(٦٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الدكتور فيليب حقي - ترجمة الدكتور
جورج حداد وعبد الكريم رافق - دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٥٨ م .

(٦٤) تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - ترجمة نبيه أمين
فارش ومنير البعلبكي - دار العلم للدلايين الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م

(٦٥) تاريخ الطب عند العرب - عيسى إسكندر معلوف - دمشق سنة ١٩٢٥ م

(٦٦) تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة - عيسى إسكندر المعلوف
دمشق سنة ١٩٢٥ م .

(٦٧) تاريخ العرب - فيليب حقي - ترجمه محمد مهروك نافع سنة ١٩٥٢ م .

(٦٨) تاريخ الفلسفة في الإسلام - ت. ج. دي بور - ترجمة محمد
عبد الهادي أبو ريده - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٦٩) تاريخ الفكر العربي - إسماعيل مظهر سنة ١٩٢٨ م .

(٧٠) تاريخ كلدو وآثور - أدى شير - طبع في المطبعة الكاثوليكية

للآباء اليسوعيين ج ١ سنة ١٩١٢ م و ج ٢ سنة ١٩١٢ م .

(٧١) تاريخ الآداب العربية - كارل تالينو - طبع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٥٤ م .

(٧٢) تاريخ الإسلام السياسي الدكتور حسن إبراهيم حسن - الطبعة الثالثة
مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م

- (٧٣) تاريخ العلم الجزء الأول جورج سارتون - ترجمه عبد العزيز قوفيق جاويد - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٨ م .
- (٧٤) تاريخ اللغات السامية - اسرائيل ولفسون - مطبعة الاعتقاد سنة ١٩٣٩ م
- (٧٥) تاريخ اليعقوبى - احمد بن جعفر اليعقوبى - ط. سنة ١٨٨٣ .
- (٧٦) تاريخ حكماء الإسلام - ظهير الدين البيهقى - مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٤٦ م .
- (٧٧) تاريخ مختصر الدول - ابن العبرى - المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٠ م .
- (٧٨) تاريخ مصر فى عصر البطالة - الدكتور إبراهيم نصحي - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ م .
- (٧٩) تخريج نصوص أرسططالية فى كتاب الحيوان - الدكتور طه الحاجرى بحث فى مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٥٢ م .
- (٨٠) تراث فارس - فصول كتبها طائفة من المستشرقين - عربها بعض أساقفة جامعة القاهرة سنة ١٩٥٩ م .
- (٨١) تمهيد لتاريخ الفلسفة - مصطفى عبد الرازق .
- (٨٢) ثلاث رسائل - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - الأولى فى الرد على النصارى ط. القاهرة ١٩٣٦ م .
- (٨٣) ثمرات الأوراق - ابن حجة الحموى - على هامش المستطرف فى كل فن مستظرف ط. شرف موسى ١٣٠٢ هـ
- (٨٤) حضارة الإسلام - جوستاف جرونبيسوم - ترجمة عبد العزيز قوفيق جاويد .

- (٨٥) حضارة العرب - غوستاف ليبون - ترجمة عادل زعيتو - مكتبة مصر بالقاهرة .
- (٨٦) حضارة مصر والشرق القديم - إبراهيم رزقانه وآخرون - دار مصر للطباعة .
- (٨٧) خطط الشام - محمد كرد علي - المطبعة الحديثة - دمشق سنة ١٩٢٥ م .
- (٨٨) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤ م .
- (٨٩) دليل الراغبين في لغة الآراميين - طبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين سنة ١٩٠٠ م .
- (٩٠) سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجي - مطبعة محمد علي صبح سنة ١٩٥٣ م .
- (٩١) شرح ديوان الأعشى - الدكتور محمد حسين - المطبعة النموذجية .
- (٩٢) شعراء النصرانية - لويس شيخو - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٨٩٠ م .
- (٩٣) صبح الأعشى - الفلقشندي - الجزء الاول .
- (٩٤) صفة جزيرة العرب - أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني - طبع ليدن سنة ١٨٨٤ م .
- (٩٥) طبقات الأمم - صاعد بن أحمد الأندلسي - ط . محمد مطر .
- (٩٦) عصر المأمون - أحمد فريد الرفاعي - طبع القاهرة ١٩٢٧ م .
- (٩٧) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب - أوليري - ترجمة الدكتور

- وهيب كامل - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٩٢ م .
- (٩٨) عيون الانخبار - ابن قتيبة الدينوري - ٣ مطبعة دار السكتب المصرية ١٩٣٠ م .
- (٩٩) عرض تاريخي لفلسفة العلم - ا. دولف - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م .
- (١٠٠) عيون الانباء في طبقات الاطباء - ابن أبي اصيبعة - ج ١ ، ج ٢ الطبعة الاولى المطبعة الوهبية .
- (١٠١) فتوح البلدان - البلاذري - ط . شركة طبع السكتب العربية سنة ١٩٠٠ م .
- (١٠٢) فجر الإسلام - أحمد أمين - مطبعة الاهتاد ١٩٢٨ م .
- (١٠٢) فن الشعر لأرسطو - الدكتور عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ .
- (١٠٤) في التصوف الإسلامي وقاريخه - رينولد ا. نيكولسون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ م .
- (١٠٥) قصة الأدب في العالم - أحمد أمين وزكي نجيب محمود ج ١ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٣ م .
- (١٠٦) كتاب الوزراء والكتاب - أبو عبد الله محمد بن هبوس الجهشيارى - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨ م .
- (١٠٧) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - ابن خلدون - ط ٢ سنة ١٩٤٤ م .

- (١٠٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - ١ ، ٢ ط .
سنه ١٩٤١ م .
- (١٠٩) مدرسة نصيبين الشامية - أدى شير - طبع في المطبعة الكاثوليكية
بيروت ١٩٥٥ .
- (١١٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - الراغب الاصفهاني -
المطبعة الشرقية
- (١١١) محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب - جويدي .
- (١١٢) مختصر كتاب البلدان - ابن الفقيه - طبع ليدن سنة ١٨٨٥ م .
- (١١٣) مروج الذهب - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي -
المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦ هـ .
- (١١٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - ابن فضل الله العمري .
- (١١٥) مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب - أوليري - ترجمة الدكتور
تمام حسان .
- (١١٦) مصر والشرق القديم - ٣ سوربة - الدكتور نجيب ميخائيل -
الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ م دار المعارف بمصر .
- (١١٧) مفاتيح العلوم - الخوارزمي - مطبعة الشرق سنة ١٣٤٢ هـ .
- (١١٨) مقدمة في تاريخ الطب - الدكتور التيجاني الماحي - مطبعة مصر -
السودان سنة ١٩٥٩ م .
- (١١٩) موجز تاريخ العالم - هـ . ج . ويلز - ترجمة عبد العزيز قوفيقي
جاويد - مطبعة السعادة سنة ١٩٥٨ م .

(١٢٠) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام - الدكتور على سامى الزشار -
مطبعة أحمد نخيمر سنة ١٩٤٧ .

(١٢١) وفيات الأعيان - ابن خلكان ١٣٠ ، ٢٠ ط . بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

122) *Arabia Before Muhammad* - O, LEARY.

123) *How Greek Science Passed To the Arabs.*, O'LEARY

124) *Islam and Christian Theology* vol. 1

j. Windrow sweetman.

فهرس الكتاب

المقدمة (٧ - ١)

الصلب الاول

أوليات الحضارة في الهلال الخصيب (٩ - ٣٥)

الفصل الاول :

بيئة الآراميين وحضارتهم (١١ - ٢٩)
الهلال الخصيب : تسميته وسببها (١١) . السومريون : تركز
حضارتهم في المدن (١١ - ١٢) . الأكديون . حضارتهم وتأثيرها
بالسومريين (١٢ - ١٤) . الاموريون : موطنهم (١٤) ، مكانة بابل
في عهدهم (١٤) ، حمورابي ودوره في الحضارة البابلية (١٥ - ١٧) .
الآشوريون : تأثر حضارتهم بحضارة السومريين والبابليين (١٧ - ١٨) .
الكلدانيون : ازدهار العلوم في عهدهم (١٩) .

الآراميون : هجرتهم (٢٠) ، تسميتهم (٢١) ، موطنهم الاول (٢٢) ،
إماراتهم في منطقة ما بين النهرين (٢٣ - ٢٤) . المؤثرات الحضارية في
بيئة الآراميين (٢٤) ، سيادة اللغة الآرامية (٢٥ - ٢٦) ، اندثار
الحضارة الآرامية ، والعوامل التي أدت إلى ذلك (٢٧ - ٢٨) ، دور
المسيحية في القضاء على الكتابات الآرامية (٢٨ - ٢٩) .

الفصل الثاني :

السريان (٣١ - ٣٥)

أصل تسميتهم (٣١ - ٣٤) ، مفهوم التسمية عند مؤرخي العرب

القدمات (٣٥) .

المركز الثقافي في الشرق القديم

(٨٨ - ٣٧)

أولا : الإسكندرية (٣٩ - ٤٩)

تأسيسها (٣٩) ، مكانتها في عهد البطلمية (٤٠) علماءها في هذه الفترة ، وما نقل من كتبهم إلى اللغة العربية (٤١ - ٤٢) ، تدهور الإسكندرية في العهد الروماني والعوامل التي أدت إليه (٤٣ - ٤٤) ، دور مدرسة الإسكندرية في التوفيق بين الدين والفلسفة (٤٤ - ٤٥)

مدرسة الإسكندرية في العهد الإسلامي : ضعفها في هذا الوقت وأسبابه (٤٦ - ٤٧) ، إسهام بعض علماءها في حركة الترجمة في العهد الأموي (٤٨ - ٤٩) .

ثانيا : حران (٥١ - ٥٩)

أهميتها (٥١) ، الصابئة : أصلهم (٥٢) ، مذاهبهم (٥٣ - ٥٥) . علماء حران (٥٦ - ٥٧) ، أثر الخرافيين في العلوم العربية (٥٧ - ٥٩) .

ثالثا : جنديسابور (٦١ - ٧٣)

تأسيسها (٦١ - ٦٤) ، نشاطها العلمي في عهد سابور (٦٥) ، قيام مدرستها في عهد خسرو الأول (٦٦) ، اهتمامها بالعلوم اليونانية وقائدها بمدرسة الإسكندرية (٦٧ - ٦٨)

اتصال العرب بمدرسة جنديسابور (٦٩) ، التحاق الطلاب العرب بها قبل الإسلام (٧٠) فتح جنديسابور في خلافة عمر بن الخطاب (٧٠) ازدهار العلوم اليونانية في ظل الفتح الإسلامي (٧١) ، اتصال علماءها بالعباسيين (٧١ - ٧٣) .

رابعاً : الرها (٧٣ - ٨٠)

ازدهار الحضارة الآرامية في بيئة الرها (٧٣ - ٧٤) ، مظاهر التأثير
باليونان في اللغة السريانية (٧٤ - ٧٥) ، الأديرة وأثرها في الفكر
العربي (٧٥ - ٧٦) ، النشاط الثقافي لمدرسة الرها وصلتها بمدرسة
نصيبين (٧٧) ، وفود أساتذة مدرسة الرها لليمين من نصيبين بعد الانشقاق
الفسطوري (٧٨ - ٨٠) .

خامساً : نصيبين (٨١ - ٨٨)

مدرسة نصيبين الأولى والهدف من تأسيسها (٨١ - ٨٢) ، المشرفون
عليها (٨٢) وقوعها في أيدي الفرس وهجرة أساقفتها إلى الرها (٨٣) .
مدرسة نصيبين الثانية : الظروف التي أحاطت بافتتاحها (٨٤) ، معلموها
(٨٥ - ٨٦) ، نظام الدراسة بها واهتمامها باللاهوت المسيحي (٨٦ - ٨٧) ،
ضعف تأثيرها في العرب (٨٨)

الباب الثالث

جهود السريان في الحضارة الإسلامية (٨٩ - ١١٤)

الأسباب التي أدت إلى عدم الاهتمام بتاريخ العرب في الجاهلية
والنتائج التي قرنت على ذلك (٩١) أثر السريان في الجانب الحضاري
من حياة العرب قبل الإسلام (٩٢) .
في دولة الانباط : استعمال الآرامية في الكتابة (٩٣) اقتباس عرب
الشمال أبجديتهم من الآرامية (٩٣) .
في قديم : شيوخ الآرامية (٩٤) - قيام حضارة عربية متأثرة
بالحضارة الإغريقية (٩٤)

فى إمارة الغساسنة :

العوامل التى مهدت للتأثير السريانى (٩٥) اليماقبة ونقل الثقافة اليونانية إلى الغساسنة (٩٦) . انتشار الاديرة والبيع (٩٥) دور الغساسنة فى نقل الحضارة السورية إلى الحجاز (٩٦) .

فى إمارة الحيرة :

معظم أهل الحيرة سريان فساطرة (٩٧ - ٩٨) ، استعمال اللغة السريانية بين عرب الحيرة وآثاره (٩٨ - ٩٩) ، دور أديرة الحيرة فى تقوية الآثار السريانى (٩٩ - ١٠٢) ، دور أهل الحيرة فى التمهيد للتأثير الفسطورى بين العرب (١٠٢) ، خروج الإرساليات الفسطورية من الحيرة إلى الجزيرة العربية (١٠٣) ، ارتباط الحيرة بنجران بواسطة طريق تجارى (١٠٣) انتشار المسيحية فى نجران (١٠٣ - ١٠٤) ، ارتباط الحيرة بنجران بواسطة طريق تجارى (١٠٣) ، انتشار المسيحية فى نجران (١٠٣ - ١٠٤) .

وضوح الطابع المسيحى فى بعض جوانب الفكر العربى قبل الإسلام (١٠٥ - ١٠٧) . الوثنية العربية ، وصلتها بالوثنية اليونانية والسريانية (١٠٨) القلق الدينى إزاء تعدد الأصنام (١٠٩ - ١١٠) بعض مظاهر التأثر بالمسيحية فى الشعر الجاهلى (١١١ - ١١٢) مناقشة من يزعمون أن الرسول (ص) اقتبس بعض الآراء من اليهودية والمسيحية (١١٢ - ١١٣) الإسلام يمثل المنهج الدينى المتكامل (١١٣ - ١١٤)

الباب الرابع

نشاط السريان في ظل الأمويين (١١٥ - ١٦٤)

الفصل الأول:

الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة

الإسلامية (١١٧ - ١٣٢)

غلبة الطابع العربي على الدولة الأموية (١١٧ - ١١٨) ، استعانة

الأمويين بأهل الثقافات اليونانية والسريانية في بناء دولتهم

• (١١٨ - ١١٩)

قيام النشاط العقلي في البصرة والكوفة بتأثير من الثقافات الوافدة من جنديسابور

والخيرة (١٢٠ - ١٢٢) . أسباب الاهتمام بالدراسات اللغوية (١٢٢ - ١٢٣) .

التأثر بالسريان في الدراسات اللغوية والنحوية (١٢٤ - ١٢٧) مبادئ

الإسلام وأثرها في التشجيع على نقل العلوم الدخيلة (١٢٨) ، انتقال

الخلافة إلى سوريا مكن السريان من الإسهام في بناء الدولة الإسلامية

• (١٢٩ - ١٣١)

الإسلام لم يوقف سير الحياة العقلية في البلاد المفتوحة (١٣١ ، ١٣٢)

الفصل الثاني :

حركة النقل وجهود السريان فيها (١٣٣ - ١٥٢)

الاتجاهات العلمية في عهد الأمويين (١٣٣) الرغبة في الحفاظ على

العقيدة أدى إلى عدم الاشتغال بالفلسفة (١٣٤) ، خالد بن يزيد وتأثيره
بالسريان في دراسة الكيمياء (١٣٥ - ١٣٨)

الترجمة قبل خالد بن يزيد :

الترجمة في عهد الرسول (ص) (١٣٩) توجيه الرسول بعض الصحابة
لتعلم اللغات (١٤٠) اشتغال السريان بالترجمة قبل الإسلام (١٤٠ - ١٤٢)
نشاط السريان العلمى فى مصر قبل الفتح (١٤٢) .

النقلة فى العصر الأموى :

يحيى النحوى (١٤٣ - ١٤٥) ، غلبة الصبغة اليونانية على الطب العربى
العلمى (١٤٦) ابن آثال (١٤٧) ، ثاودون (١٤٨) ، تياذوق (١٤٨ -
١٤٩) ما سرجوية (١٥٠ - ١٥٢)

الفصل الثالث :

موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة . . (١٥٣ - ١٦٤)
العقلية العربية ققبلت الثقافات الأجنبية (١٥٣) العوامل التى ساعدت
العرب على الارتقاء بالثقافة (١٥٣ - ١٥٤) .

جابر بن حيان مثال للعقلية العربية الهاضمة المبتهكره (١٥٤ - ١٥٥)
الجدل الدينى بين المسلمين والمسيحيين (١٥٦) هل ثمة تأثير للأبحاث
المسيحية فى علم الفقه (١٥٧)

أثر العوامل اليونانية والمسيحية فى الفرق الإسلامية (١٥٧ - ١٦٢)

الفرق الإسلامية صدرت عن القرآن ، وتأثرها بالمذاهب الأجنبية كان
لاحقا على نشأتها (١٦٣ - ١٦٤) .

الباب الخامس

حركة النقل في العصر العباسي (١٦٥ - ٢١٦)

الفصل الأول :

أسباب الترجمة (١٦٧ - ١٨٢)

حياة الحضارة واستنادها إلى العلم (١٦٧) الاستعانة بأطباء
جنديسابور في علاج الخلفاء (١٦٧) نجاح هؤلاء الأطباء في مهامهم
وأثره في الاهتمام بالعلوم بعامة (١٧٠) البعثات العلمية في عهد
المنصور (١٧٠) تأسيس دار الحكمة في عهد الرشيد (١٧١)
ازدهار حركة الترجمة في عهد المأمون (١٧١) ترجمة الكتب
الفلسفية للتزود بوسائل الجدل في الدفاع عن الدين (١٧٣ - ١٧٤) .
تطبيق المبادئ الفلسفية في المجالات الدينية لم يكن وليد العصر
العباسي (١٧٤) . المسيحية استعانت بالفلسفة في إبطال آراء المجادلين
فيها (١٧٥-١٧٧) السريان ونقل الكتب الفلسفية في العصر العباسي
(١٧٧) الحركة العلمية لم تتناول الأدب اليوناني (١٧٨)

الأسباب الشخصية فى تشجيع الاشتغال بالترجمة (١٧٩ - ١٨١)

مناقشة رأى القدماء فى أسباب الترجمة (١٨١ - ١٨٢)

الفصل الثانى .

ميادين الترجمة والعاملون فيها . . . (١٨٣ - ٢٠٦)

الظواهر الأدبية أطوارها متداخلة (١٨٣)

يوحنا بن البطريق (١٨٤) ، جورجيس بن جبرائيل (١٨٥)

بختيشوع بن جورجيس (١٨٦) ، جبريل بن بختيشوع (١٨٦)

يوحنا بن ماسوية (١٨٦) ، قسطنطين لوقا البعلبكي (١٨٧)

حنين بن إسحق (١٨٨ - ١٩٦) ، إسحق بن حنين (١٩٦ - ١٩٨) ،

ثابت بن قرة (١٩٨ - ٢٠٢) ، حبيش بن الحسن الدمشقي (٢٠٢ - ٢٠٣) ،

مى بن يونس (٢٠٣ - ٢٠٤) ، سنان بن ثابت بن قرة (٢٠٤ - ٢٠٥) ،

يحيى بن عدى (٢٠٥) أبو على عيسى بن زرعة (٢٠٦)

الفصل الثالث :

طرق المترجمين فى النقل وأساليبهم . . . (٢٠٧ - ٢١٦)

الترجمة إلى السريانية والعربية فى وقت واحد (٢٠٧) الرجوع إلى

الأصول اليونانية فى الرياضة (٢٠٨) طرق المترجمين (٢٠٨ - ٢١١)

أسباب إعادة بعض الترجمات أو قنقيجها (٢١١-٢١٣)

موقف الجاحظ من المترجمين (٢١٣-٢١٥).

طواعية اللغة العربية لمقتضيات الترجمة (٢١٥-٢١٦)

الخاتمة (٢١٧ - ٢٢٢)

المراجع (٢٢٤ - ٢٤٥)

رقم الايداع بدار الكتب ٣٣٩٦ / ١٩٧٥

دار البحوث للطباعة
٩ شارع كلية الطب، مدينة الرياض
تليفون ٩٤٤٩٤٤، ستندرس

UNIVERSITÄT
ALEXANDRIA
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0301080



Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com